

١٢١

السنة الثالثة ١٩٧٣/٧
تصدر كل خميس

المعرفة



ع

عجائب الدنيا

كثيرا ما كان الحديث يتردد في العصور القديمة عن عجائب الدنيا السبع . غير أن الزمن يمر ، وقد قطعت الحضارة الإنسانية مراحل تقدمية هائلة ؛ وعلى مر ألف وخمسمائة عام ، هي فترة العصور الوسطى والحديثة ، تمكن الإنسان من إقامة منشآت جديدة بأن يطلق عليها اسم عجائب الدنيا .

ولكن قد يقول قائل إنه إذا كانت خطوات النجاح العظيم الذي حققته الوسائل الفنية ، خطوات واسعة ، فإن النواحي الجمالية في الطبيعة ظلت كما هي ، إذ أن هذا الكوكب الذي نعيش فوقه ، لم يلحقه تغيير يذكر خلال الألفي أو الثلاثة آلاف عام الماضية . وهذا القول صحيح ، ولكن بعض المظاهر الطبيعية الرائعة ، لم تتكشف أمام

عجائب الدنيا السبع

يبدو أن الفكرة القديمة التي حددت عجائب الدنيا بسبع ، ترجع إلى أحد البيزنطيين المدعو فيلون Philon ، فقد وصفها في كتابه باللغة اليونانية ، ترجم بعد ذلك إلى اللاتينية باسم « وصف عجائب الدنيا السبع » . وسنستعرض تلك العجائب معا فيما يلي :

تمثال رودس العملاق : كان هذا تمثالا ضخما ، أقامه سكان رودس Rhodes (إحدى جزر بحر إيجه) في مدخل الميناء . وطبقا لبعض الأوصاف التي وردت عنه ، والتي لا تزال موضع جدل شديد حتى وقتنا هذا ، كانت قدماه ترتكزان على رصيفين بمثابة حاجز للأمواج . كان التمثال مصنوعا من البرونز ، ويبلغ ارتفاعه ثلاثين مترا ، وهو يمثل الإله أبولو . وفي داخله سلم حلزوني ، يصل إلى الشعلة التي يرفعها بيده . وقد شيد هذا التمثال بين عامي ٢٩٢ و ٢٨٠ ق. م. ، وظل قائما إلى أن دمرته هزة أرضية في عام ٢٢٤ .

الأهرام المصرية : كانت الأهرام المصرية هي الوحيدة التي بقيت لنا من بين عجائب الدنيا السبع ، التي وصفها فيلون في كتابه ، وهي مازالت تستحوذ على إعجاب كل من وافته الفرصة لمشاهدتها . وأكبر هذه الأهرامات هو هرم خوفو ، ويبلغ ارتفاعه ١٣٧,٣٠ مترا ، وعرض قاعدته ٢٢٧ مترا .



مقابر الفراعنة : وترتفع هذه الأهرام الضخمة فوق أديم الصحراء المصرية

الإنسان إلا منذ بضع قرون ، بينما كان يحوس خلال القارات . ومن يدري أية صورة رائعة كان يمكن أن يستلهمها هوميروس ، لو كان قد شاهد شلالات نياجرا ؟ وبماذا كان يمكن أن يشبهها ؟ أبغضب زيوس ، أم بقوة هرقل ؟ وترى ما هي المشاعر التي كان يمكن أن يثيرها في قلب فرجيل Virgile منظر جبل فوجي ياما Fuji-Yama ، وأزهار شجر الكرز التي تكسوه زخرفه ؟ وماذا كان يمكن أن يقوله لنا عالم الطبيعة بلين Pline ، عن الظواهر الطبيعية التي تسببت في تعرية هضبة كلورادو ، وتكوين وديانه الهائلة ؟ إن عطاء الرجال في العصور القديمة لم يروا هذه المناظر الرائعة ، في حين أنه أصبح من السهل علينا نحن أبناء القرن العشرين ، أن نلم بكل ما في العالم الذي يحيط بنا من عجائب ، لا يقتصر عددها على سبع ، بل قد يكون سبعين أو حتى سبعائة .

تمثال رودس العملاق ، كما تخيله الفنانون في بعض الأحيان





حصن بابلون

مصر من الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية

المسلمين عليها معناه تثبيت فتوحهم في الشام وفلسطين ، وتأمينها من ناحية الجنوب ، وأن بقاءها في يد الروم ، يعرض سيادة العرب في الشام للخطر .
أذن عمر بن الخطاب لعمر بن العاص في فتح مصر ، وجهاز له جيشا ، قوامه أربعة آلاف رجل .

سار عمرو بن عبد الله بن تغلبا نحو مصر ، حتى وصل العريش سنة ١٨ هـ فاستولى عليها . ثم سار إلى بلبيس ففتحها ، واتجه جنوبا إلى أم دنين ، حيث دارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس ، انهزم فيها الروم هزيمة منكرة .

حصن بابلون : لم يبق أمام عمرو سوى حصن بابلون ، فسار إليه وحاصره ، وكان ذلك وقت فيضان النيل ، فطال أمد الحصار سبعة شهور ، لمناعة أسوار المدينة ، وقلة معدات الحصار عند العرب ، طلب فيها المقوقس الصلح . ولكن قواد الروم نبذوا صلحهم ، وتصعدوا لمخاربة المسلمين مرة ثانية ، فدارت الدائرة عليهم ، وسقط الحصن في يد المسلمين .

فتح الإسكندرية

كانت الإسكندرية ، عند استيلاء العرب على مصر ، عاصمة الديار المصرية . وقد أيقن الروم ، أن سقوط هذه المدينة في أيدي العرب ، يؤدي إلى زوال سلطانهم من مصر . لذلك أرسل إليها الإمبراطور الروماني الجيوش ، وحصنوا أسوارها ، وأغلقوا أبوابها ، وتحصنوا فيها . سار عمرو إلى هذه المدينة ، وفتح في طريقه إليها الحصون الرومانية ، التي كانت تمتد من بابلون إلى الإسكندرية ، وكانت فلول الروم قد وصلت إليها ، وتحصنوا بها ، ولم تقل حاميتها عن خمسين ألف جندي ، مزودين بالموثوقين ، والعدد الكثيرة ، على حين بلغ جند العرب نحو اثني عشر ألفا . ظل عمرو وجنده يرددون غارات الأمداء ، ويقاللون هجمات الروم نحواً من أربعة أشهر ، فألقى هذا الخليفة عمر ، فبعث إلى عمرو كتابا يلومه فيه هو والمسلمين ، فولى عمرو قيادة الجيش لعمارة بن الصامت ، لفتح الله الإسكندرية على يديه .

كانت مصر إحدى الولايات الرومانية ، وكانت ، كغيرها من الولايات تدين بالدين الوثني ، إلى أن ولد المسيح عليه السلام ، في عهد الإمبراطور أوغسطس قيصر ، مؤسس الإمبراطورية الرومانية ، على أثر انتصاره على جيوش أنطونيوس وكيلوطره سنة ٣١ ق.م . فأخذت نغم الأباطرة تتوالى على الوثنيين ، الذين اعتنقوا هذا الدين الجديد ، وظلوا على ذلك ، إلى أن اعترف الإمبراطور قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٧ م) بالدين المسيحي ، وساوى (٣٢٣ م) بين المسيحية وغيرها من الأديان ، إلى أن جعل الإمبراطور ثيودوسيوس (٣٧٨ - ٣٩٥ م) المسيحية الدين الرسمي للدولة في سنة ٣٨١ م .

حالة مصر قبل الفتح العربي

استولى الرومان على مصر سنة ٣٠ ق.م . فجعل أوغسطس قيصر هذه البلاد صومعة تمد روما بحاجتها من الغلال . وبذلك انحطت درجة العلم فيها ، وأغلقت أبواب المناصب العالية أمام المصريين ، وزادت الضرائب في عهد الرومان زيادة كبيرة ، حتى شملت الأشخاص والأشياء ، فكانت تجبي على الرعوس ، والصناعات ، وعلى المشاشية ، والأراضي . ولم تقتصر تلك الضرائب على الأحياء ، فتعدتها إلى الموتى ، فكان لا يسمح بدفن الميت إلا بعد دفع ضريبة معينة .

لذلك ، أصبح المصريون يتطلعون إلى دولة أخرى ، تخلصهم من الحالة السيئة التي كانوا عليها إبان حكم الرومان لهم . وقد سرهم ما علموه ، من استيلاء العرب على الشام ، كما سرهم ما نمي إلى علمهم ، من حسن سيرة العرب في البلاد التي فتحوها .

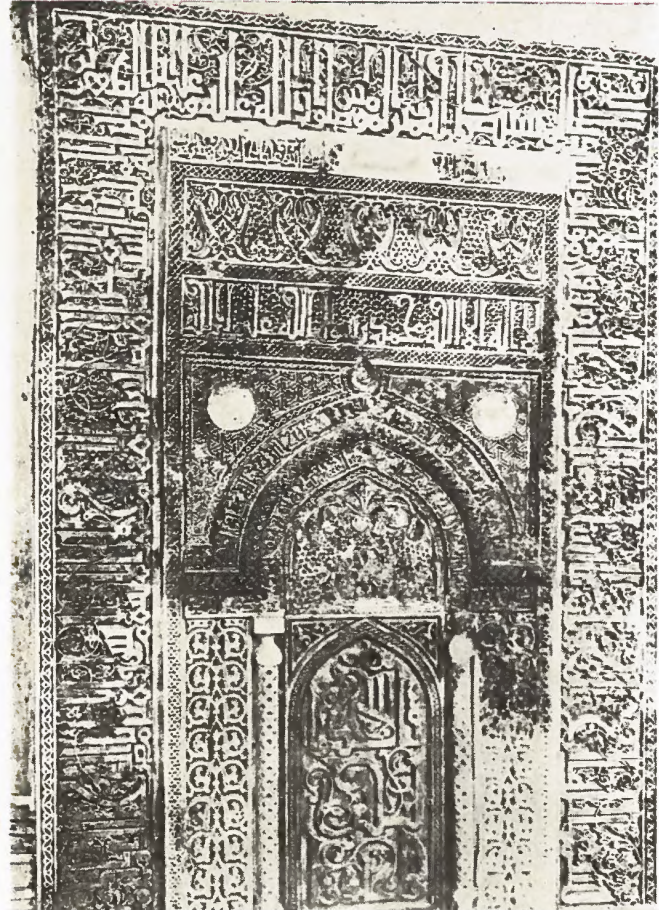
فتح مصر : كان عمرو بن العاص من القواد الأربعة الذين نذبهم أبو بكر الصديق لفتح الشام . فلما قدم عمرو بن الخطاب الجابية من أعمال دمشق سنة ١٨ هـ ، قال له عمرو بن العاص : « أتأذن لي في السير إلى مصر » ، وذكر له أنها أكثر الأرض أموالا ، وقال له : « إنك إن فتحتها ، كانت قوة للمسلمين وعونا لهم » . فتردد الخليفة في بادئ الأمر ، إشفاقاً منه على المسلمين ، أن يصيبهم الإخفاق ، ولأنه لم يستطع أن يجمع لفتح هذه البلاد جيشا كبيرا ، لانشغال جند المسلمين في الشام ، والجزيرة ، وفارس . فلم يزل عمرو يهون عليه فتحها ، مينا للخليفة أن استيلاء

الجيش، كما كان إداريا حازما ، وقف على موارد الثروة على اختلافها ، وعرف كيف يستغلها لمصلحة دولته ، من غير أن يرهق الأهالي بالمكوس والضرائب . فاستتب الأمن ، وانتشر الرخاء في عهده ، حتى بيعت كل عشرة أراذب من القمح بدينار واحد . وتوفي ابن طولون سنة ٢٧٠ هـ ، وله من العمر خمسون سنة ، وترك من الأولاد ثلاثة وثلاثين ، منهم سبعة عشر من الذكور ، وست عشرة من الإناث .

مدينة القطائع : لما ضاقت الفسطاط بساكنيها ، أسس أحمد بن طولون مدينة القطائع سنة ٢٥٦ هـ ، التي تعتبر أول مدينة ملوكية ، أنشئت في وادي النيل ، في العهد الإسلامي ، إذ كانت مقر حاكم مستقل استقلالاً تاماً ، لا يربطه بالخليفة العباسي ببغداد ، غير التبعية الدينية . وقد تأثر ابن طولون عند تأسيسه للعاصمة الجديدة ، بتخطيط مدينة سامراء ، التي نشأ فيها ابن طولون قبل هجرته إلى مصر . فقد كانت كل منهما مقسمة إلى خطط أو قطائع ، تضم كل قطعة منها جماعة من السكان ، تربط بينهم رابطة الجنس ، أو العمل ، ومن ثم أصبح اسم القطائع علماً على مدينة ابن طولون ، وكان هذا الاسم يطلق في سامراء ، على كل أحياء المدينة ، فيما عدا القصور الملكية .



قرن رخا (بوق) من العاج من العصر الفاطمي



تأسيس الفسطاط : بعد أن تم لعمر بن العاص فتح الإسكندرية ، وإجلاء الروم عنها ، وطردهم من مصر ، أراد أن يجعلها مقراً لولايته ، لما فيها من عمران وأبنية ، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب ، فسأل عمر رسول عمرو : « هل يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟ » فأجاب ، نعم يا أمير المؤمنين ، إذا جرى النيل . فكتب إلى عمرو : « إني لأحب أن تنزل بالمسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف ، فلا تجعلوا بيني وبينكم ماء ، متى أردت أن أركب إليكم راحلتي ، حتى أقدم عليكم ما قدمت » .

كان موضع الفسطاط فضاء ومزارع بين النيل والمقطم ، ولم يكن في هذا المكان من البناء سوى حصن بابليون ، وكان إلى الشمال والشرق من هذا الحصن أشجار ونخيل ، وبين الحصن والجبل عدة كنائس وأديرة . وكانت الفسطاط تقع في المنطقة التي حول جامع عمرو ، وتمتد شرقاً حتى قرب سفح جبل المقطم ، وشمالاً حتى جهة فم الخليج ، وقناطر السباع ، وجبل يشكر ، وغرباً حتى النيل ، وجنوباً حتى ساحل أثر النبي .

ولما عزم عمرو على تخطيط الفسطاط ، ولي الخطط أربعة من قواد المسلمين ، أنزلوا الناس ، وفصلوا بين القبائل . وكانت بيوت الصحابة بمدينة الفسطاط ، في بادئ الأمر ، طبقة واحدة ، ثم أخذت الدور تتسع وتعلو شيئاً فشيئاً ، حتى صار ارتفاع أغلب الدور خمس طبقات ، وستا ، وسبعا ، وثمانية ، وأصبح يسكنها المائتان من الناس .

وظلت مدينة الفسطاط قاعدة الديار المصرية ، ومقراً للإمارة ، حتى بنيت العسكر سنة ١٣٢ هـ .

الجامع العتيق : أسس عمرو بن العاص هذا الجامع بمدينة الفسطاط ، سنة إحدى وعشرين من الهجرة . وكان طوله خمسين ذراعاً ، وعرضه ثلاثين ، وكان للمسجد بابان أمام دار عمرو ، وبابان في الشمال ، وبابان في الغرب ، وكان سقفه منخفضاً جداً ، كما لم يكن للمسجد صحن . واتسعت أرجاء الجامع ، حتى بلغ مساحته الحالية في العصر الأموي . وقد أعيد بناء الجامع في القرن الثالث عشر الهجري ، فبنيت عقود رواق القبلة في غير وضعها الأصلي ، فجاءت عمودية على حائط القبلة ، وكانت في الأصل موازية له . ويقع بيت المال في وسط الصحن ، لإيداع أموال اليتامى به . ولم يكن جامع عمرو مقصوراً على أداء الفرائض الدينية وحلقات التدريس فحسب ، بل كانت تعقد فيه محكمة لفض المنازعات الدينية والمدنية .

مدينة العسكر : لما انتقلت الخلافة إلى بني العباسي ، أسسوا حاضرة جديدة لدولتهم الناشئة ، إلى الشمال الشرقي من الفسطاط ، في مكان عرف في صدر الإسلام باسم الحمراء القصوى ، كان يمتد إلى جبل يشكر ، الذي بنى عليه ابن طولون مسجده . وفي ذلك المكان ، أقام العباسيون دورهم ، واتخذوا مسكنهم ، وبنى صالح بن علي دار الإمارة ، وثكن الجند ، ثم شيد الفضل بن صالح مسجد العسكر في وسط المدينة . وبمرور الأيام ، اتصلت العسكر بالفسطاط ، وأصبحت مدينة كبيرة ، وظل أمراء مصر يقيمون في دار الإمارة في العسكر ، حتى بنى جوهر الصقلي مدينة القاهرة . على أن ولاية العسكر لم يتركوا لنا أثراً نستدل منه على الأعمال التي قاموا بها ، والعمائر التي شيدها ، وكل ما نعرفه عنها ، أنها عمرت كقاعدة رسمية لمصر الإسلامية ، أكثر من قرن من الزمان من سنة ١٣٣ هـ إلى سنة ٢٥٦ هـ .

الدولة الطولونية : ظلت مصر بعد قيام الدولة الأموية ، في حالة ضعف وجمود في كل ناحية من نواحي الحياة ، إلا في فترات قليلة ، عمل فيها ولاتها على تقدمها ورقبها ، مثل مسلمة بن مخلد ، وعبد العزيز بن مروان ، وموسى بن عيسى ، الذي ولي مصر ثلاث مرات . على أن مصر أخذت تنتعش منذ قامت الدولة الطولونية ، التي استقلت بحكمها استقلالاً يكاد يكون تاماً . وعلى الرغم من أن عمر هذه الدولة لم يزد على ثمان وثلاثين سنة ، إلا أن مصر استطاعت خلالها أن تخطو خطوات سريعة نحو التقدم والإصلاح .

أحمد بن طولون : كان أحمد بن طولون تركياً من بلاد ما وراء النهر ، استخلفه الأمير باكباك نيابة عنه في ولاية مصر ، فدخلها في رمضان سنة ٢٥٤ هـ . ولما قتل باكباك ، تولى إمارة مصر (يارجوج) صهر أحمد بن طولون ، فكتب إليه « تسلم من نفسك لنفسك » ، وبذلك أقره على ما بيده ، وزاد في سلطته ، بأن استخلفه على مصر كلها . وفي شهر رمضان سنة ٢٥٩ هـ مات (يارجوج) ، فتولدت أقدام ابن طولون في مصر ، وأصبح والياً عليها من قبل الخليفة مباشرة . وكان ابن طولون بعيد النظر ، عالى الهمة ، قوى البأس ، شديد المراس ، اتسع ملكه حتى امتد من العراق إلى برقة ، ومن النوبة حتى آسيا الصغرى ، وخشى بأسه إمبراطور الروم ، على ما بين بلاديهما من بعد الشقة ، ووعورة الطريق ، فأهدى إليه عدة مصاحف ، وأفرج عن كل أسرى الحرب من المسلمين . وكان ابن طولون سياسياً محنكاً . وقائداً ماهراً ، خبيراً بأساليب الحروب ، وتعبئة

عربا مسطح بمسجد أحمد بن طولون ، يرجع إلى عهد الخليفة المستنصر الفاطمي سنة ٤٨٧ هـ

جامع ابن طولون : أقام ابن طولون في وسط القطائع ، مسجدا جامعاً ، يعد من أكبر مساجد العالم الإسلامي ، إذ تبلغ مساحته مع الزيادة ، أى الفضاء الذى يحيط به من جميع الجهات ، عدا جهة القبلة ، ستة ونصفاً من الأفدنة . ويتوسط الجامع صحن مربع ، يحيط به رواقان ، في كل من جهاته الثلاث . وتتكون الأروقة من دعائم مبنية من الطوب ، وفي أركانها أعمدة متصلة ، نقش تيجانها بأشكال مختلفة ، وتحمل الدعائم عقوداً ، غطيت بطبقة جصية غنية بزخارفها الجميلة المتنوعة . ويتكون رواق القبلة من خمسة أروقة ، وبه خمسة محاريب غير مجوفة ، عدا المحراب الرئيسى المجوف . وجميعها من الجص ، ومزخرفة بزخارف نباتية ، وهندسية ، وكتابية ، غاية في الدقة والجمال . وترجع إلى عصور متعددة ، اثنان منها في الرواق الثانى ، مما يلى الصحن الأيمن ، وعليه اسم الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، والأيسر تقليد للأيمن ، وعليه اسم السلطان (لاشين) ، واثنان على جانبي دكة المبلغ الأيمن ، يرجع الأيمن إلى العصر الطولونى ، والأيسر إلى العصر الفاطمى . كما يوجد على يسار المحراب الكبير ، محراب السيدة نفيسة ، ويرجع إلى القرن السابع الهجرى . ويوجد بليون القبلة هذا ، جزء كبير من لوحة التأسيس التذكارية ، مكتوبة بالخط الكوفى البسيط .

وعلى يسار المحراب الرئيسى ، منبر خشبي مزخرف ، على شكل أطباق نجمية ، مكونة من وحدات مطعمة بالعاج ، والصدف ، والأبنوس . أما شبائيك الجامع ، فتحيط به من جهاته الأربع ، وتبلغ مائة وثمانية وعشرين شباكاً ، من الجص المفرغ على هيئة أشكال هندسية مختلفة . وفي وسط الصحن ، قبة كبيرة ، ترتكز على أربعة عقود ، يحيط بها شريط كتابي ، يحتوى على آية الوضوء ، مكتوبة بالخط الثلث المملوكى ، وهى من تجديدات السلطان (لاشين) في القرن السابع الهجرى .

وتقع المئذنة في الزيادة الغربية ، وتعتبر الوحيدة في مصر ذات السلم الخارجى . وهى مكونة من أربع طبقات : الأولى مربعة ، والثانية مستديرة ، والطبقة الثالثة على شكل مئمن ، أما الطبقة الرابعة فعملوها طاقية مضلعة ، تكون معها شكل مبخرة .



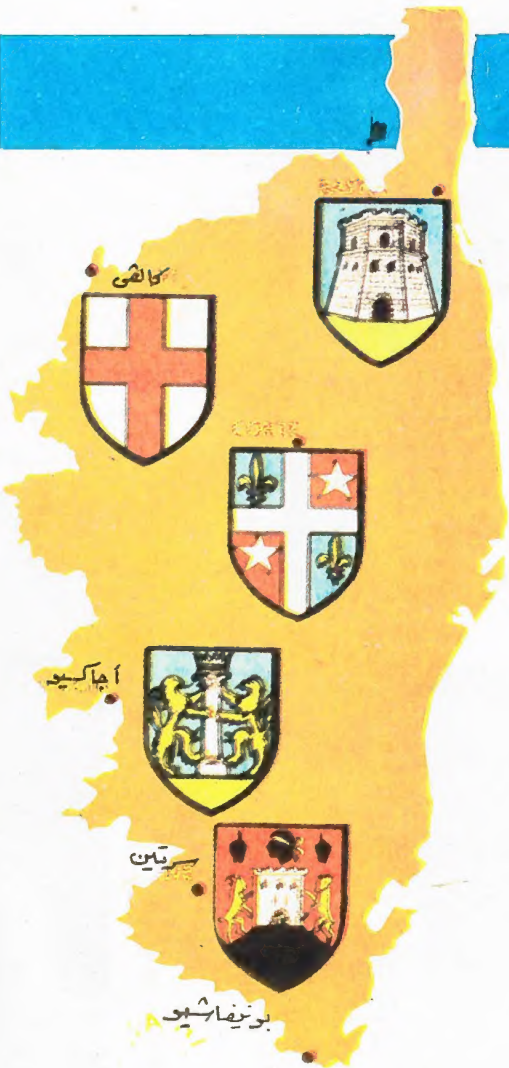
▲ جامع ابن طولون . تبين الصورة رواق القبلة والمحراب . والمنبر من القرن التاسع الميلادى

محمد بن طغج الأخشيد

المهدى الفاطمى . وفي هذه الموقعة ، أبلى الأخشيد بلاء حسناً . ولا غرو ، فقد كان من أثر انتصار محمد بن طغج على جند الفاطميين الذين غزوا مصر ، أن أمر الخليفة العباسى بزيادة (الأخشيد) إلى اسمه ، وهو اللقب الذى كان يطلق على ملوك فرغانة ، ودعى له بهذا اللقب على منابر مصر والشام في شهر رمضان سنة ٣٢٧ هـ . وقد أعاد الأخشيد النظام والسكينة ، ووطد مركزه في مصر والشام ، وصد غزوات الفاطميين الذين أرسلوا إلى مصر حملة بادت بالفشل ، وأرغمهم على العودة إلى بلادهم . ولما شعر الأخشيد بدنو أجله ، عهد إلى كافور بالوصاية على ولده أبى القاسم أنوجور ، ومات الأخشيد سنة ٣٣٩ هـ . ببيت المقدس ، ودفن به ، بعد أن ولي مصر إحدى عشرة سنة ، وخلفه ابنه أبى القاسم أنوجور ، ثم أبى الحسن على ، الذى قام بالوصاية عليهما كافور الأخشيد ، وبذلك أصبح هو صاحب السلطان المطلق في إدارة الدولة الأخشيدية ، وفي ذلك يقول ابن تفرى برضى « وبقي الاسم لأبى القاسم ، والدست لسكافور » .

كان أبو بكر محمد بن طغج بن جف من أولاد ملوك فرغانة ، وكان كل ملوكها يلقب بالأخشيد ، كما يلقب ملك الفرس بكسرى ، وملك الروم بقيصر ، وملك الحبشة بالنجاشى . وقد سار جف جد الأخشيد إلى الخليفة المعتصم ، فأكرمه ، وأقام معه إلى أن توفي ، فاتصل بابنه الواثق ، ثم بأخيه المتوكل ، وظل على ذلك إلى أن توفي في نفس الليلة التى قتل فيها الخليفة المتوكل . وقد ولد لطغج بن جف سبعة أولاد من الذكور ، أحدهم محمد الأخشيد الذى ولد سنة ٣٢٨ هـ . واتصل محمد بن طغج بخدمة ابن بسطام عامل بلاد الشام ، وحاز من علو المرتبة ، ما جعله يفتخر على أخوته . ولما ولي ابن بسطام مصر ، صحبه محمد الأخشيد إليها ، وبقي معه إلى أن توفي سنة ٣٩٧ هـ ، فانضم إلى ابنه أبى القاسم على ، ثم حارب تحت قيادة تكين ، في الموقعة التى دارت بين الجند المصريين ، وجند عبيد الله

كورسيكا ، جزيرة الجمال



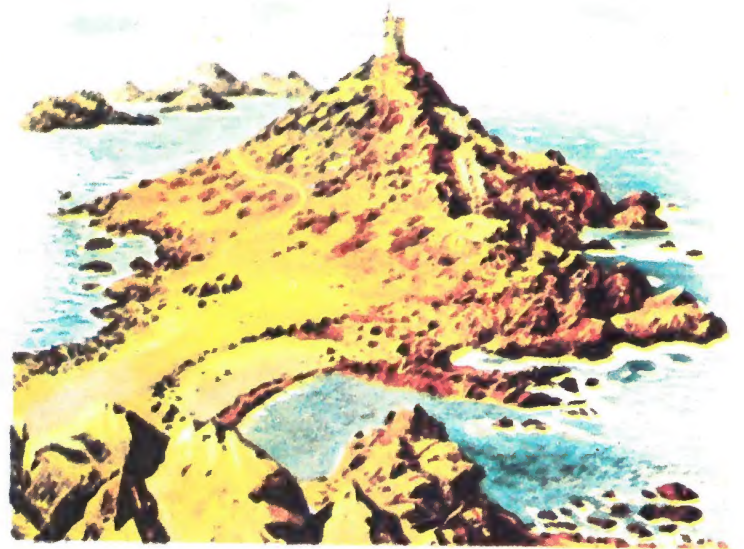
من المحتمل أن يكون بعض منكم قد أتاحت له الفرصة لقضاء إجازته في جزيرة كورسيكا Corsica . أما الذين لا يعرفون بعد تلك البلاد ذات المناظر الجميلة ، فإننا سنقدم لهم الآن وصفا للرحلة الممتعة ، التي يمكنهم القيام بها لزيارة « جزيرة الجمال » .

ها هي الباخرة سامبييرو كورسو Sampiero-Corso (على اسم البطل الكورسيكي الشهير ، ١٤٩٨ - ١٥٦٧) على أهبة الإبحار من ميناء نيس Nice . وفي فجر اليوم التالي ، وبعد ليلة رائعة ، في بحر هادئ لطيف ، يستطيع الركاب أن يتمتعوا بأبصارهم بمنظر شروق الشمس على جزيرة سانجينيير Sanguinaires ، التي تنتشر عند مدخل خليج أجاكسيو Ajaccio .

وفي الساعة السابعة صباحا ، تصل الباخرة إلى الرصيف ، وسرعان ما يتعرض الركاب لهجمات الحمالين ، الذين يحاولون بكل الوسائل ، حتى باقتحام القمرات ، أن يحملوا لهم حقائبهم . لقد استغرقت الرحلة قرابة عشر ساعات في البحر للوصول إلى كورسيكا . ولعل العزلة التي تحيط بالجزيرة ، تفسر لنا الوحشة التي يشعر بها السائح القادم من القارة ، كما تفسر لنا المصاعب الاقتصادية التي تسود الجزيرة .

ولا شك في أنك تعرف من كتب التاريخ ، أن كورسيكا كانت قديما من أملاك جنوا ، ثم انتقلت إلى فرنسا في عام ١٧٦٨ ، أي قبل مولد الإمبراطور نابليون بعام واحد .

كما أنك ولا شك قرأت في كتب الجغرافيا ، أن هذه الجزيرة تقع في البحر المتوسط ، على بعد حوالي ١٧٠ كم من سواحل إقليم پروفانس ، وعلى بعد ١٣ كم فقط من جزيرة سردينيا ، وأن مساحتها ٨٧٢٢ كم^٢ ، وأن أقصى طول لها هو ١٨٣ كم ، وأقصى عرض ٨٣ كم ، وأن عدد سكانها يقرب من ٢٦٩٨٣٠ نسمة . واعتمادا على هذه الأرقام ، فلا بد أنك ستظن أنه في استطاعتك زيارة جميع أرجاء الجزيرة بسيارتك ، في أقل من شهر . إن معنى ذلك أنك لم تأخذ في الحسبان الطرق الضيقة في الغالب ، وأحيانا غير المهدمة ، التي يتخللها العديد من الانحناءات والانحدارات الشديدة . ومع ذلك ، فإنك إذا لم تستطع أن تحقق برنامجك بالكامل ، فإنك تستطيع أن تتمتع بأهم مواقع « جزيرة الجمال » .



جزر سانجينيير

فبعد أن تقضي يوما في أجاكسيو ، عاصمة كورسيكا ، تقوم خلاله بمشاهدة ترعة نابليون ، وتجوب شوارع المدينة القديمة ، وتزور متحف نابليون ، والمزرل الذي ولد فيه ، تستطيع بعد ذلك استئناف رحلتك .

إن الجبل في كورسيكا لا يبعد كثيرا عن البحر ، ولذلك فبعد أن تقضي فترة في المخيم الجبلي على ارتفاع ٩٠٠ متر ، عند سفح جبل تشينتيو Cinto (أعلى مرتفعات كورسيكا : ٢٧١٠ م) ، غير بعيد عن بعض مساقط المياه ، وفي قلب غابة من أشجار الصنوبر والتنوب ، يمكنك أن تصل إلى شاطئ كالتي Calvi ، قبل أن تحل الظهيرة . وينحدر الجبل من جهة الغرب انحدارا فجائيا نحو البحر . والشاطئ هنا شديد الوعورة ، كثير الفجوات العميقة ، التي تكون العديد من الخلجان والمرافئ المحمية ، مثل خليج جيرولاتا Girolata . وهناك تستطيع مشاهدة الصخور ذات الألوان الزاهية ، وهي تبرز من وسط زرقة مياه البحر العميقة . وستجد بالقرب من پورتو Porto بعض الصخور الحمراء ذات التلونات الحادة ، والمعروفة باسم صخور كالانش دي پيانا Calanche de Piana .

أما في الشرق ، فالساحل على العكس من ذلك مستو وطمحي ، وبه شواطئ (بلاجات) شاسعة (معظمها خال) ، ويقع وراها العديد من المستنقعات . وقد أصححت هذه المنطقة أخيرا ، وبدئ في زراعتها .

أما داخلية البلاد ، فتبني للسائح مناظر شديدة التنوع ، من وديان تحيط بها الجبال العارية مثل وادي كورت Corte ، وسهل بالاني Balagne الخصب ، الذي تتناثر فيه القرى ذات المناظر الغريبة ، والمضائق الضيقة الموحشة ، التي لا تترك سوى مغارات ضيقة لانسباب المياه وللمرور (مضيق سانتا ريجينا Santa Régina ، ومضيق إنزيكا Inzecca أو پرونيلي Prunelli) ، والمضائق الهائلة (باقيلا Bavella وفيرجيو Vergio .. إلخ) ، والتي يمكن الوصول إليها بعد اجتياز كيلومترات عديدة من طرق متشابكة ، في وسط غابات كثيفة من أشجار الكستناء ، أو الصنوبر ، أو السندر .

أما الزراعة قليلة ، وتزرع الجزيرة الكروم ، والفاكهة ، والزيتون ، وتقتصر على السفوح المنخفضة في بعض القطاعات المتميزة مثل رأس كورسيكا ، وبالاني ، ومنطقة سارتين Sartène . يضاف إلى تلك الموارد الزراعية ، استغلال الغابات ، أو تربية الأغنام ، والماعز ، والخنائير ، أو بعض الأبقار الهزيلة التي تعيش في شبه حرية ، والتي يمكنك أن تقابلها على جوانب الطرق .



مجموعة صخور پيانا

والجزء الأكبر من البلاد تكسوه الأدغال (أشجار الخلنج ، والمستكا ، والريحان) ، والأراضي البور ذات الأشجار دائمة الخضرة ، وأكثرها من أشجار البلوط (البلوط الأخضر في المناطق الجيرية ، والبلوط الفلاني في المناطق الرملية) . ومن هذه النباتات الهزيلة التي تسلط عليها الشمس أشعتها الحارقة ، تفوح عطور نفاذه ، يختلط فيها أريج الفلفل البري باللافندر ، والعرعر ، وإكليل الجبل . أو لم يقل نابليون إنه يستطيع أن يتعرف على كورسيكا من رائحتها فحسب ؟

وكورسيكا لا تصدر للقارة سوى بعض الأنبيذة الجيدة وجبن الماعز (تصنع في كهوف روكفور) . ولا بد أنك ستدهش كثيرا ، عندما تعلم أن معظم استهلاك الجزيرة من اللحوم ، البيض ، والخضروات ، والفواكه يرد إليها من القارة . بل إن الزيتون والتين يستوردان من نيس ، في الوقت الذي تزرعهما الجزيرة . وكثير من قرى الجزيرة لا يعرف غاز الإضاءة ، وبعض المنازل تقتصر على الماء والكهرباء .



ميناء كالثي

المدن

إن مدن كورسيكا صغيرة . وفيما عدا باستيا Bastia وأجاسيو اللتين يبلغ تعداد كل منهما ٤٠٠٠٠ نسمة . لا توجد مدينة أخرى يزيد عدد سكانها على ٥٠٠٠ نسمة .

باستيا : وهي العاصمة التجارية لكورسيكا ، كما أن أجاسيو هي المركز الإداري .

كورت وسارتين : هما أهم مدينتين داخل الجزيرة . كورت Corte بموقعها المرتفع ، تعلوها صخرة هائلة تقع على قممها القلعة . أما سارتين فتقوم على الأخرى فوق تل ، وتحتفظ بأحد الأحياء القديمة ذات الطابع الخاص . كالثي Calvi وبونيفاتشو Bonifacio : ميناءان صغيران لهما كثير من السمات المشتركة : فهما مدينتان عاليتان ، تحيط بهما أسوار تشرف على الميناء ، وبكل منهما قلعة وشوارع ضيقة ، تتجول فيها بعض الحمير الصغيرة .

ومنازل متلاصقة . غير أن بونيفاتشو تفرد بموقعها في أحضان البحر على امتداد ١٦٠٠ متر ، وببياض صخورها الجيرية التي ترتفع إلى ٦٠ مترا ، وتقوم فوقها المدينة القديمة ، وبقرها من سردينيا (١٣ كم) . وفي الميناء تستطيع أن تتذوق حساء السمك أو الجراد البحري ، وستجد لها مذاقا شبيها لن تنساه بسهولة .

وكورسيكا لم تكنف بأن تحتفظ من ماضيها المليء بالأحداث ، بالكثير من الآثار ، مثل التماثيل الحجرية التي ترجع إلى ما قبل التاريخ ، والأبراج التي ترجع إلى عهد حكم مدينة جنوا « البندقية » ، ومباني عصر النهضة ، إلى غير ذلك ، ولكنها احتفظت أيضا بعادات لا تزال حية حتى اليوم .

ومن هذه العادات ، يمكننا أن نستشف حزنا لا يمكن إنكاره ، لا يقتصر أثره على الموسيقى والآداب الكورسيكية فحسب ، ولكنه يطبع الحياة العامة بطابع مميز ، كالاهتمام الذي يوليه الأهالي للموت : فالمقابر معني بها اعتناء بالغا ، وتصطف عادة في مواجهة البحر ، وكثيرا ما توضع فيها مصابيح صغيرة تظل مضاءة ليلا ونهارا ، وكالملايس السوداء التي ترتديها النساء (انظر الرسم) ، واللاتي يبدن فيها كما لو كن في حالة حداد دائم .



التقاليد الأسرية

ظلت هذه التقاليد أيضا حية ، ولا سيما في داخلية البلاد ، قرب الأسرة هو الأمر الناهي فيها ، وأهل الجزيرة يكونون شعورا عميقا حيال الشرف ، وهو شعور كثيرا ما كان يؤدي إلى حدوث اشتباكات دموية أخذا بالنسأ ، ولكنهم في الوقت نفسه ، يتميزون بروح مضياقة عالية ، يمكنك أن تلمسها في كل مرة تطلب فيها الإذن بإقامة مخيمك ، فسرعان ما تجد الأهالي وقد غمروك بالفواكه ، ورتبوا لك سهرات عائلية ، وإفطارا جماعيا ، إلى غير ذلك من مظاهر الترحيب . وإذا لم تتمكن من حضور الاحتفالات السنوية العظيمة ، مثل الاحتفال بيوم الجمعة المقدسة في سارتين ، وعيد نيولو Niolo لتجديد العذراء ، والألعاب النارية في عيد القديس يوحنا ، أو في عيد الميلاد ، فربما تواتيك الفرصة وأنت في كارجيز Cargèse ، التي لا تزال تعيش فيها جالية يونانية كبيرة ، لأن نشاهد بعض الاحتفالات اليونانية الشعبية . ومرة أخرى ، وفي الساعة التاسعة مساء ، ستغادر الجزيرة على نفس الباخرة سامبيرو - كورسا ، وستسل منها لتلق النظرة الأخيرة على ميناء أجاسيو ، وعلى الأصواء الصغيرة العديدة التي تنبعث من قوارب الزهقة . فوداعا بجزيرة الجمال . . . بل إلى اللقاء .



الملايس الممييزة
للمرأة الكورسيكية

بعض الأصناف التي تشتهر بها المائدة الكورسيكية

أنواع مختلفة من الجبن من نيولو وسارتين	Prisuttu لحم خنزير في مدخن
وفيتاكو وباسيليكا	Salsicce سجق
العسل	Lonzu فيلشو لحم خنزير مقدد مدخن
دقيق السكستناء	Coppa كتف متيلة
كعك بالينسون أو بالجن	Pâté de merles فطير بلحم العصفور
نبيذ سارتين أو رأس كورسيكا أو فيجاري	Broccio جبن لبن النعجة (طازج)
المشروبات الكحولية الحلوة بعطر الريحان أو الصندل	Broccio جبن لبن النعجة (ملح)



حقل نرجس بالقرب من جراس



قطف البنفسج

لاشك في أنك ستضحك لو أن أحدهم سألك « هل لك أنف ؟ » ولكن هل حاسة الشم عندك قوية ؟ . والواقع أنك إذا استطعت أن تعجب عن هذا السؤال بالإيجاب ، لكان معنى ذلك أنك قد ضمنت مستقبلك ، ذلك لأن مصانع الألب ماريتيم Alpes-Maritimes ، سوف تتسابق لاستخدامك مهما كان الأجر الذي تطلبه . ليس هذا فقط ، بل إن أمريكا ، وإيطاليا ، وأسبانيا سوف تتنافس على استغلال « موهبتك » في الشم . ومن العجيب أن هذه الموهبة تقتصر على الرجال (مع الاعتذار لقارئاتنا) ، وتستطيع أن تتحقق من صحة ذلك ، لو قمت بزيارة إلى جراس ، عاصمة العطور ، التي تطل على مزارع الورد والياسمين .

إن قوانين الوراثة ، تلعب دورا كبيرا في نشأة هذه الموهبة الفريدة . إن ابن الرجل الذي يتمتع بحاسة شم قوية ، أمامه فرصة تصل نسبتها إلى ٩٩٪ ، لكي يكون هو الآخر مالكا لتلك الموهبة . إن أمه تحيط مهددة بياقات الزهور ذات الأريج العطر (حتى ولو كان الذباب يطن من حوله ، رغم مصائد الذباب الصمغية) . وما أن يستطيع الطفل الموهوب أن يقف على قدميه ، حتى يصحبه والده إلى حقول الزهور . إن الصباح الندي ، والنهار شديد الحرارة ، والمساء الرطب ، تتضافر كلها في تلقيته أسرار تلك المهنة المعجزة : مهنة الشم .

وينمو الطفل ، ويصل إلى سن المراهقة ، وعندئذ يستطيع أن يشم غير الزهور ، وهو العبير الطبيعي الذي أحاط به منذ طفولته ، وإن أصبح يشمل مجموعة لا تكاد تحصى من الأعابير المركبة .

وبعد أن يكتمل نمو الشاب ، يستطيع أن يكون خبيرا في علم النبات ، وعلم طبقات الأرض ، وعلم الأجناس ، وعلم الأرصاد الجوية ، والكيمياء . وهو بما يتصف به من دقة في حاسة التمييز ، وما اكتسبه من علم مدروس ، يستطيع أن يميز بين ٧٠٠٠ أريج مختلف ، ويحدد مقاديرها بالمليجرام ، ونحن نقصد المعنى الدقيق للكلمة ، وبدون مبالغة أهل الجنوب . وهنا تضم خزائن مصنع العطور أسرار هذا « الخبير » ، بعد أن يتم تسجيلها بعناية في سجلات خاصة .

الست المستحبة

لنقم بجولة على شواطئ الكوت دازور Côte d'Azur ، وهناك ، سنجد رجالا ونساء وأطفالا ، يكدحون من أجل لقمة العيش .

وفي شهر يناير ، عندما تكسو زهور البنفسج وجه المروج في ماندليو Mandelieu ، غير بعيد عن مدينة كان Cannes ، سنجد هؤلاء الكادحين ، أشد ما يكونون انهماكا في العمل : إنهم يجمعون الست المستحبة Mimosa .

النظرة الحافظة

إن عملية جمع زهور الست المستحبة عملية معقدة ، إن الخبز اليوم لأهالي كثير من القرى (فضلا عن تجار الزهور) ، والمورد الثابت للعملاء بالنسبة للاقتصاد الفرنسي ، يتوقفان على تلك « النظرة الحافظة » ، التي يلقيها الشخص المكلف تحديد اللحظة المناسبة تماما للبدء في جمع المحصول . والواقع أنه لا يكفي أن تقطف الست المستحبة بالمقص أو بالسكين المشرشرة المشحودة كالموسى ، ولكن يجب أيضا أن نعرف الشجيرات والأفرع التي يمكن أن تنتظر للغد ، وتلك التي يجب قطفها في الحال ، وكذلك التي لا تصلح لزراعة البواكير بسبب إصابتها بالصدأ (طفيلي) .

قطف زهور الست المستحبة



زراعة البواكير

بعد أن تتم عملية جمع البراعم في حزم صغيرة ، وهي عملية دقيقة ، يختص بها من تقل سنهم عن اثنتي عشرة سنة ، يأتي دور الحمام الخفيف ، ثم الغمس في الماء الدافئ ، أو التغطية بغطاء من التيل المبلل ، وذلك تبعا للظروف الجوية .

والدفينة ، أو المبنى الذي يتم فيه التزريع ، مجهزة بمقاييس للحرارة ، إذ يجب أن تظل درجة الحرارة فيها ثابتة عند درجة ٢٥° . ويخصص حوضان من الأسمنت (في الأماكن الرطبة بالطابق الأرضي) ، لتكوين النبات من التأقلم مع درجات الحرارة التي تتزايد ارتفاعا . وفي الطابق العلوى ، وإذا سار كل شئ على ما يرام ، وإذا لم يرتكب أحد خطأ ما ، فإن براعم الست المستحبة تنفتح لتصبح ندفا نجمية الشكل ، هشة القوام . تأتي بعد ذلك إلى ما يحدث لتلك البراعم ، بعد فترة من ٢٤ إلى ٤٨ ساعة ، وتحت الغطاء الذي امتص ما بقي من رطوبة .

يبدأ عدد من النساء في عملية الفرز ، وهن يعلمن جيدا أن برعما واحدا يذبل قبل أوانه ، قد يسبب التلف للرسالة بأكملها . وهن يستخدمن أوراقا بللورية بنفسجية اللون ، وأوراقا حريرية ذات لون بنفسجي زاه ، في زخرفة سلال الخيزران التي يجمعن فيها الزهور ، والتي قام على جدلها كبار السن من الأهالي ، الذين لم يفقدوا خبرتهم بالرغم من تورم أصابعهم في أغلب الأحوال .

أما نقل المحصول فيتم بوسائل النقل السريعة ، ولا سيما في اتجاه باريس ، وانجلترا ، وبلجيكا ، وهولند ، وهي البلاد التي تعتبر من العملاء الدائمين لهذه الزهور الصفراء .

فع السلامة ، أيتها الست المستحبة !

حقل لاوند «لافتندر» في بروفانس

الياسمين

يعتبر الياسمين الزهرة المتميزة في منطقة جراس ، وقد أدخلها إليها العرب منذ حوالي مائتي عام . وكان أوليقييه دي سير Olivier de Serres قد كتب في « البستاني الماهر » عن إمكانيات تطعيم هذا النبات . والتربة التي يزرع فيها الياسمين ، تأخذ في التعفن يوما بعد يوم ، وعلى مدار عشرين عاما ، ولكنها تصلح لزراعة الورد ثم الخسروات ، وأخيرا تستقر فيها زراعة الكروم ، لكي تعيد الدورة دورتها . وفي الزراعات الأسرية ، كانت الأجيال السابقة قد تمكنت من التنبؤ بمستقبل التربة التي كثيرا ما حرثوها ، وقلبوها ، وأزالوا الأعشاب منها ، ثم سقوها . هذا ، وجمع الياسمين يخضع للتقويم الشمسي ، فهو يجري من وقت الفجر إلى الظهيرة . أما قبل ذلك وبعده ، فالوقت يكون إما مبكرا ، وإما متأخرا عما يجب . ولكي يمكنك إدراك مدى ما يتكبده العاملون ، من نساء وأطفال ، الذين يأتون من مسافات بعيدة لجمع الياسمين ، يكفي أن تعلم أن أكثرهم مهارة يمكنه أن يقطع بأصابعه ١٠٠٠٠ زهرة في ثماني ساعات ، ومع ذلك فإن هذه الحصيللة تعتبر ضئيلة ، لدرجة أنها عندما توضع فوق الميزان ، لاتزن أكثر من خمسة كيلوجرامات . هذا ، ومتوسط الجمع اليومي لا يتعدى ٣ كيلوجرام للفرد الواحد .

صناعة العطور

سيكون من المتعذر علينا أن نتبع هنا كافة الخطوات التي تتم منذ البدء في قطف الزهور ، إلى أن تصل إلى مصنع العطور ، حيث تجري عملية تقطير ملايين الأطنان من الزهور ، وتصدير ما قيمته ملايين الفرنكات من المنتجات العطرية . وعلى كل حال ، سنحاول أن نقدم لك فكرة أولية عن أهم خفايا العطور الجمدة .

بعد «تهوية» البتلات لمدة أربعة أسابيع ، فوق مصاف خاصة ، تستخدم أجهزة الشفط لتدفعها إلى حجرة الفرز ، وهي أقدم الطرق المستخدمة ، والتي تحاكي طريقة الحشرات في الاهتمام إلى حبوب اللقاح .

إن أيدي العاملات يجب أن تعمل كما تعمل قرون الاستشعار في النحلة ، فهي تضع كل مجموعة من البتلات في صناديق مليئة بخليط من شحم الأمعاء والدهن الحيواني ، سبق تنقيتهما بعمليات مختلفة . والدهن المعطر لدرجة التشبع لا يتعرض للترنيخ ، وذلك لأنه تضاف إليه بعض براعم زهور البرتقال ، وبهذه الطريقة ، نحصل على العطر المتناسك على شكل مرهم .

وفي هذه المرحلة ، تنقل الخلاصات التي تتكون من الشمع النباتي ومن مركبات عطرية ، إلى غرفة التقليل الآلي . وتستغرق عملية المزج أو الخفق من ٢٤ إلى ٤٨ ساعة . وبعد عمل محلول من الكحول في درجة ٥٩٠ لإذابة الشحوم ، يتم استخراج العطر ، ذلك لأن الكحول المتبخر يترك في قاع الجهاز « الخلاصة العطرية » ، التي يحتاج الكيلوجرام الواحد منها لاستخدام ٨,٣٠٠,٠٠٠ زهرة ! وفي كل صباح ، تغمس بعض بتلات اليوم السابق في البزوين الأثري ، وتنتج من ذلك « الخلاصة المتناسكة » أو الصلبة ، وهي التي تباع للمستهلكين في علب صغيرة مطلية باللاكه .

جمع الياسمين

الورد

نحن الآن في شهر فبراير . . . والأطفال في طريقهم إلى المدرسة ، أو عودتهم منها ، يستطيعون هم وذوهم أن يلاحظوا تفتح الورد ، وهي الزهرة التي يبدوا الاهتمام بها في أوائل الخريف والربيع .

وعندما تقترب الشمس من المغيب ، تجدد الأسر المشتغلة بفلاحة البساتين ، وقد انحنى أفرادها فوق الشجيرات المتراسة ، في أحواض قوسية ، محمية من رياح الشمال العنيفة ، ومن رياح الشرق . وتعتبر عملية معالجة البتلات ، وهي وحدها التي تدخل في صناعة العطور ، عملية تقتضى قدرا كبيرا من المهارة ، إذ تكفى صدمة واحدة من ظفر أصبع ، لكي تجعلها تتساقط كالقطر داخل السلة التي تحملها العاملة .

جمع الورد



هذا ، وأريج الورد يسبح في هواء البحر المتوسط ، من الوادي إلى أجناب التلال ، وإلى سفوح الجبال . وكلما كانت أماكن زراعة الورد مرتفعة وقرية من طبقات الهواء الباردة - نسبيا - في المرتفعات المتوسطة ، كلما ازداد أريجها دفئا وحرارة ، ذلك لأن خاصية الدفاع الذاتي في النبات ، تساعد على زيادة خواصه المميزة .

اللاوند

إن زهرة اللاوند «الافتندر» (غالبا ما تسمى باللانند) التي تنبت فوق التلال ، لا تعمر سوى جزء من فصل الصيف ، ولذلك فإن حصادها يخضع لقواعد دقيقة ، فيما يخص بقياس الرطوبة .

التاريخ : من ٢٥ يوليو إلى ٢٥ أغسطس .
الوقت : فيما بين طلوع النهار وغروب الشمس .

ومن المخطور جمع الزهور في الصباح الندي ، وعندما تكون الشمس مغطاة بالسحب ، وكذلك في أعقاب سقوط المطر . ترى لماذا كل هذه الاحتياطات ؟ والجواب عن

ذلك ، هو أن الرطوبة تقلل من نسبة تركيز العطر في الخلاصات بنسبة ٣٠٪ .

وتقام أجهزة التقطير المتنقلة قريبا من الحقل ، وتستقبل النباتات المحزومة في باقات صغيرة (النجاح في ذلك صعب للغاية ، لسهولة تلف العنقود) . واللاوند يشبه القمح في أيام أجدادنا ، إذ يجري حصده بالمنجل . وفي يوم عمل كامل أو عشر ساعات ، يمكن جمع من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ كيلوجرام .



كيف يتكاثر الفطريات

تختلف الفطريات في تكاثرها اختلافا كبيرا عن النباتات الزهرية، التي فيها تخصب البويضات Ovules بواسطة حبوب لقاح ، وتنتج منها البذور .

تتكون أبواغ Spores دقيقة على السطح السفلي لرأس الفاريقون، وهي تشبه حبيبات الغبار الدقيقة ، أي أصغر من أي بذور . ويكون الفاريقون الواحد ملايين منها .



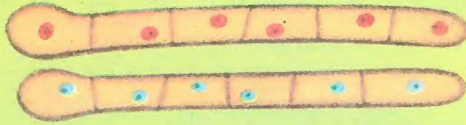
فاريقون ناضج

تنبت الأبواغ إذا سقطت على تربة مناسبة .



أبواغ "مكبة جنة"

ينمو من الأبواغ خيط Filament يسمى الميسيليوم الابتدائي ، وهو يتكون من سلسلة من خلايا مصفوفة في صف واحد .



ميسيليوم ابتدائي "مكبر"

تخرج من الخيوط فروع تتشابه وتلتحم مع بعضها ، وبذلك يتكون الميسيليوم الثانوي .



ميسيليوم ثانوي "مكبر"

يكون الميسيليوم شبكة تحت الأرض ، وتنمو بعد ذلك إلى أعلى ، لتكون غاريقونا جديدا



فاريقون جديد "تخطيطي"

(يلاحظ أن سمك الخيوط مبالغ فيه في الرسم) .

عيش الغراب والفاريقون السام

الفطريات Fungi قسم من أقسام المملكة النباتية، وعيش « عشب » الغراب Mushrooms، والفاريقون Toadstools، هي الأجسام الثمرية Fruiting أو التكاثرية Reproductive التي تكونها بعض هذه الفطريات (وليست كلها بأية حال) . ويتألف جسم الفطر ، من كتلة من الخيوط المتشابكة تسمى الخيوط الفطرية « الهياضات Hyphae » ، ويسمى الجسم كله بالغزل الفطري « ميسيليوم Mycelium » . ويكون الميسيليوم مطمورا تحت الأرض في فطر عيش الغراب . وتختلف الفطريات اختلافا كبيرا عن باقي النباتات كلها ، تقريبا ، في كونها عديمة الكلوروفيل Chlorophyll ، وهو المادة الخضراء ، التي تمكن النباتات من بناء غذائها من مواد كيميائية بسيطة . وهي لذلك يجب أن تتغذى على مواد نباتية أو حيوانية ، حية كانت أم ميتة . وهي إذا تغذت على كائنات حية ، سميت متطفلة Parasitic ، وإذا تغذت على مواد ميتة سميت رمية Saprophytic . وأغلب الفطريات التي تنتج عيش الغراب والفاريقون ، رمية ، تحصل على غذائها من الأوراق المتحللة ، ومواد مشابهة .

ويستطيع كثير منا تمييز نبات عيش الغراب . ونحن وإن كنا نعتبر أنواع الغاريقون كلها سامة ، إلا أن الواقع أن بعض أنواع الغاريقون ليست سامة ، بل صالحة وجيدة عند الأكل .

وينمو عيش الغراب في الحقول والحدائق ، ويكثر الغاريقون في الغابات الرطبة ، أو أواخر الصيف وفي الخريف .

أنواع أخرى من الفطريات

ذكرنا أن بعضا فقط من الفطريات ، هي التي تكون عيش الغراب والفاريقون . وتشتمل الأنواع الأخرى على طرز متنوعة مثل أنواع العفن Moulds ، والبياض Mildews ، والخميرة Yeasts ، والأنواع المتطفلة التي تسبب الأمراض في النباتات والحيوانات . والبنسيليوم Penicillium أشهر أنواع العفن ، ويستخرج منه مضاد الحياة Antibiotic العجيب المعروف بالبنسيللين Penicillin . والخميرة Yeast هي الفطر الثمين، الذي نستخدمه للإسراع بعملية التخمير Fermentation في صناعة الجعة والتبيض ، وتخمير الخبز . ومن أمثلة الفطريات التي تسبب المرض عند النبات ، نذكر صدا القمح Wheat Rust ، الذي يمكن أن يصيب محاصيل الحبوب بإصابات بالغة ، وآفة البطاطس Potato Blight التي كانت السبب في مجاعة أيرلند سنة ١٨٤٦ - ١٨٤٧ . كذلك فإن مرض القوباء الحلقية Ringworm الجلدي ، والذي يصيب الإنسان والحيوانات ، مرض فطري .

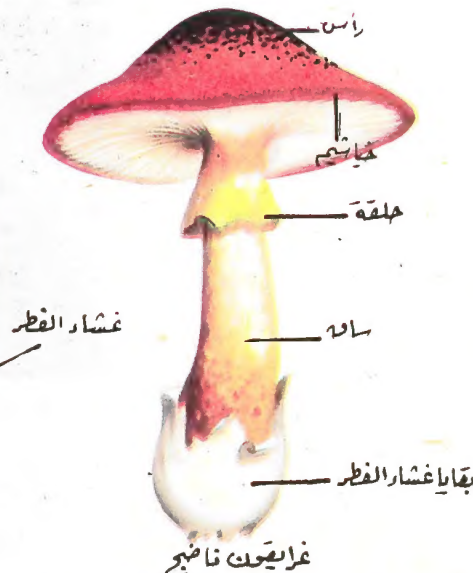
رسم تخطيطي يبين نمو وتشريح الفاريقون



غاريقون حديث



مقطع طول في غاريقون حديث



غاريقون ناضج

يتكون الجزء الأكبر من الغاريقون من الرأس والساق .

يحمل الرأس الساق ، وقد يكون طويلا رفيعا ، أو سميكاً مستديرا ، طبقا للنوع . وقد يكون سطح الرأس رطبا ولزجا ، أو مغطى بجلد جاف . والفاريقون الحديث له غشاء يمتد من حافة الرأس إلى الساق، ويغطي الخياشيم Gills وباطراد النمو ، يتميز الغشاء ، ويبقى على هيئة حلقة تحيط بالساق . وبعض الأنواع لها غشاء ثان يسمى غشاء الفطر Volva ، يحيط بالغاريقون الصغير كله ، وهو أيضا يتمزق ، عندما يكتمل النمو .

بعض الفطريات السامة التي تؤكل

سب
بوليتس أدولس

أمانيتا سيزاريا

روسولا
روسولا سافانا

عيش غراب الحقل
پساليوتا كامپسترس

وكما سبق أن قلنا ، تكون بعض أنواع الغاريقون صالحة للأكل ، وبالإضافة إلى النوعين الشائعين من عيش الغراب ، وهما عيش غراب الحقل Field Mushroom ، واسمه العلمي (*Psalliota campestris*) ، وعيش غراب الحصان Horse Mushroom وهو أكبر حجما ، واسمه العلمي (*Psalliota arvensis*) والأنواع الموضحة هنا هي :

سب Cep واسمه العلمي (بوليتس أدولس *Boletus edulis*) ، وهو فطر غير جذاب المنظر ، إلا أنه لذيذ في الأكل ، ويوجد في الغابات ، خصوصا غابات أشجار الزان .

أمانيتا سيزاريا Amanita Caesarea ، وهو نوع أوروبي يقدره الأوروبيون كثيرا .

روسولا (*Russula cyanoxantha*) . ويختلف لون رأسه من الأحمر القرمزي إلى المخضر .

عيش غراب الحقل Field Mushroom ، واسمه العلمي (*Psalliota campestris*) ، وهو ينمو ، هو وقربيه الكبير الحجم المعروف باسم عيش غراب الحصان ، في الحقول . ويتقدم عمره ، يتحول لون خياشيمه من القرمزي إلى الأسمر . كن حريصا عندما تأكل فطريات أخرى غير عيش الغراب ، لأن بعض أنواع الغاريقون تكون سامة .

قلنسوة الموت Death Cap واسمه العلمي (أمانيتا فاللويدس *Amanita phalloides*) . وهو فطر شائع .

بعض الفطريات السامة الشائعة

ومن أشدها خطورة . ولقد تسبب في كثير من الوفيات . وهو ينمو في الغابات ، وله رأس مخضر اللون ، وخياشيم بيضاء ، وغشاء فطري على شكل الكأس عند قاعدة الساق . والخطر الكامن فيه ، هو أن الشخص يمكن أن يخطئ في التمييز بينه وبين عيش الغراب .

عيش غراب الأحقق Fool's Mushroom واسمه العلمي (أمانيتا فيرنا *Amanita verna*) ، وهو سام بنفس درجة النوع الأخير ، وربما أكثر ، وهو أقرب شبيها بعيش الغراب ، لأن الرأس والخياشيم بيضاء اللون . غاريقون الذباب Fly Agaric واسمه العلمي (أمانيتا موسكاريا *Amanita muscaria*) ، ينذر أن يسبب هذا الغاريقون الجميل ، الذي لا يخطئه الإنسان ، الموت ، إلا أن تناوله يؤدي إلى تسمم واختلال عصبي Mental Disturbance . وبعض القبائل البدائية ، تتناوله باختيارها على هذا الأساس . وإذا فتت في اللبن ، أمكن استعماله طعاما لقتل الذباب .

بوليتس الشيطان Devil's Boletus واسمه العلمي (بوليتس ساتاناس *Boletus satanas*) . ينتمي هذا الفطر الغريب اللون إلى نفس جنس سب Cep ، وهو ينمو في الغابات مثله . وهو ضار بالصحة جدا ، ولكنه ليس خطر السمية . الممرض Sickener واسمه العلمي (روسولا إيمييتيكا *Russula emetica*) ، لا يختلف الروسولا كثيرا عن المبين بالرسم ، إلا أن رأسه أحمر ، وطعمه لاذع Acrid ، يؤدي إلى المرض والغثيان Nausea إذا أكل (غير مبين بالرسم) .

قلنسوة الموت
أمانيتا فاللويدس

عيش غراب الأحقق
أمانيتا فيرنا

غاريقون الذباب
أمانيتا موسكاريا

بوليتس الشيطان
بوليتس ساتاناس

طائفته الحرفية ، أو من جيرانه *Gegildan* ، أو أخيرا قد يكون سيدا ارتبط بدفع المكوس له *Tithing* ، فغدا له سيدا *Lord* . هؤلاء ربما كانوا عرضة لأن يأخذوا على عاتقهم مسئولية المتهم . وكانت الحظيرة العظيمة واضحة جلية ، إذا ما افتقد الإنسان أمرا ينافع عنه ، ولا ريب أن ذلك كان أساس الخروج على القانون ، فالمرء الذى يفتقد مثل هذا السند ، هو فى الواقع ، بل وبالمعنى الحرفى «خارجا على القانون» . وقد بلغ الأمر بها إلى أن أصبحت جريمة ، بل وأهدر دم أولئك الخارجين على القانون . ولم يعد القانون آنذاك مجرد مسألة قصاص لعين بعين (أو ميتة بميتة) . بل أنشئت المحاكم والعقوبات (بتر الأطراف عادة) . ولا شك أن نظام القضاء الموضوع على أساس المقاطعات *Shires* وأقسامها ، وعلى أساس محكمة المائة *Hundreds* وأقسامها *Wapentakes* — هذا النظام قد غدا بالغ الدقة . لكن

ما أسرع ما تغلغت القبائل الجرمانية (الأنجلز *Angles* ، والساكسون *Saxons* ، والجيوتون *Jutes*) فى إنجلترا ، ثم استقرت بها بعد انهيار الحكم الرومانى لها ، فى أوائل القرن الخامس الميلادى ، قادمة من البقاع التى تحتلها اليوم هولند ، وشمال ألمانيا ، والدانيمرك . كانت شعوبا متخلفة ، وثنية ، تندلع نيران الحروب فيما بينها من آن لآخر . ولكن ما أن حان الوقت الذى وصل فيه النورمانديون عام ١٠٦٦ ، حتى حدث تغيير مثير ، فالبلدان التى احتلها انحدت فى ظل المسيحية . فما الذى حدث ؟ لقد ولدت أمة إنجليزية موحدة . فى القرنين السادس والسابع ، كانت إنجلترا ممزقة لعدة ممالك ، ولم تكن متحدة فى مملكة واحدة ، لكنها كانت كذلك لدى موت ألفريد عام ٨٩٩ . وكذلك وضعت فى عهد الأنجلوساكسون الأسس التى تقوم عليها عدة مؤسسات ، لعبت دورا عظيما فى تطوير الحياة الاجتماعية فى إنجلترا .

قانون الأنجلوساكسون والمجتمع

لا بد لنا من أن نبدأ بمحاولة تفهم التنظيم الذى بنى على أساسه المجتمع الأنجلوساكسونى . وهذا يعنى معرفة لمن يدن الأنجلوساكسونى بالولاية ، ومن ذا الذى يصهر على حمايته . فإذا ما قتل شخص اليوم ، فستحاول الدولة البحث عن قاتله ومعاقبته . لكن هذا الواجب من واجبات الدولة ، كان فى طريقة إلى الصدور فى إنجلترا الأنجلوساكسونية . وعندما وصل الغزاة ، كان ولاؤهم ضروريا للقائد العسكرى ، أو لجماعتهم وقبيلتهم الخاصة . ولكن ، بينما أدت الاعتبارات الحرية إلى الحاجة للعادات والقوانين المدنية ، لذلك فإن ولاء من ضرب آخر نشأ وخرج إلى حيز الوجود . كان ذلك هو الولاء لوحدة الأسرة — وحدة الصحاب والأقارب .

كانت روابط الدم جد قوية بين الإنجليز الأقدمين ، وأوسع انتشارا مما هى عليه اليوم . فجنس بأكمله قد يفكر أفرادهم ، باعتبارهم ينتمون إلى نفس الأسرة . إليك الساكسونيون الغربيون مثلا ، الذين أطلقوا على أنفسهم اسم «الجيوساى» *Gewissae* ، نسبة إلى مؤسسهم القديم «جيويس» *Gewiss* . وكان مؤرخ القرن الثامن العظيم ، بيد *Bede* ، يقدر تعداد السكان بالأسرات وليس بالأفراد .

وإذا ما ارتكب امرؤ جريمة ، فإن العبء يقع على جميع أقاربه . وهم يستطيعون الدفاع عنه وإعلان براءته ، لكنه فى الإمكان ، وبنفس القدر ، أن يكونوا موضعا للتأثر للضحية ، كما هى الحال مع القاتل نفسه . وقد تطالب الأسرة التى أصابها الأذى ، بإيقاع عقاب من ضرب خاص على أقارب القاتل . وهذا العقاب قد يكون على أساس من دية *Wergild* القتيل ، أو من أصابه الضرر . وما الدية إلا فداء للدم بالمال ، وهى القدر المحدد لحياة الإنسان ، وتختلف باختلاف منزلته . وكان من الطبيعى أن يشتعل التأثر المرير بين الأسرات المتخاصمة ، وربما دامت هذه المنازعات الدموية فى بعض الأحيان أجيالا عدة . لكن جماعات أخرى ، لا تمت للأسرة بصلة ، أخذت مع مرور الوقت ، على عاتقها المسئولية الشرعية لوضع العدل فى نصابه . وقد تكون هذه الجماعات من أقران الرجل فى عمله ، أو من



دار من الريف ، يسترخى فلاحو الأنجلو ساكسون لتناول

القانون بهذا الشكل لم يدون معظمه . وقد استغرقت ساحات القضاء زمنا طويلا ، لتصبح مصادر شاملة للعدالة . وظلت أعواما باقية ، جنبا إلى جنب ، مع الجرائم الشخصية للأخذ بالتأثر .

دعنا نتخيل أنك اتهمت بجريمة خطيرة — ربما سرقة ماشية ، لأن الأنجلو ساكسون كانوا يعاملون مرتكب هذه الجريمة بخشونة ، وفظاظة عظيمتين . سوف تستدعى إلى محكمة المائة المحلية المختصة ،



وإذا نحن العبيد جانباً ، فإن كل الأنجلو ساكسون كانوا أحراراً . ولقد كان ارتباط الأنجلو ساكسوني بمخدومه وولائه له أمراً شخصياً ، بينما كان ولاء الفلاح يرتبط بالأرض Territorial في النظام الإقطاعي الآخذ آنذاك في النماء بأنحاء أوروبا ، أى أنه كان مرتبطاً بقطعة خاصة من الأرض ، بصرف النظر عن مملكتها . لكن أمراً أشبه بالنظام الإقطاعي انتشر تدريجاً . وإذا كان الأنجلو ساكسون بدأوا استقرارهم في جماعات متناثرة ، تجاوز كل منها ينبوع ماء أو جدولاً ، فقد وصل بهم الأمر إلى الاحتشاد في مقاطعات تحيط بمكان سيدهم ، وكان على العديد من الأنجلو - ساكسون أن يقدموا مقابل أرضهم الخدمات .

ومنذ بادي الأمر ، وثمة طبقتان مميزتان في المجتمع ، النبلاء Eorls والأحرار Ceorls ، لكن الفجوة بينهما أخذت في الاتساع . وقد أدى التهديد بالغزو الدانيمركي في القرن التاسع ، إلى نشوء طبقة عسكرية جديدة the Thegns وازداد سلطان النبلاء والعسكريين ، وبدأوا يعقدون ساحات خاصة للقضاء في مقاطعاتهم ، وأصبح لبعضهم حق شق اللص إذا ما ضبط متلبساً . ومن جهة أخرى ، ضاقت الحال بكثرة من الفلاحين . وبالرغم من أن الفلاح حر من الوجهة النظرية ، إلا أن عدداً متزايداً من الالتزامات القانونية الدستورية ، والخدمات لسيده ، كانت تقيد تلك الحرية . وبناء على ذلك ، وضع الفلاحون في إحدى طبقات ثلاث « جينيت Geneat » ، أو كوتار Cottar أو جيور Gebur .

وهكذا انتكست إنجلترا في العصر الأنجلو - ساكسوني الأول ، وتراجعت ثقافتها أمام الحشود البربرية ، وتوقفت حضارة أوروبا عن موكب تقدمها ، لدى سواحل بريطانيا غير المضيفة ، بينما نمت المسيحية السلتية منفردة في عزلة بسكتلند ، وأيرلند ، وويلز ، وكان قدوم أوغسطين عام ٥٩٧ ، هو الذي أعاد إنجلترا مرة أخرى إلى التيار الرئيسي للحياة الأوروبية ، ليست فحسب كجزء من الكنيسة الرومانية ، ولكن كجزء أيضاً من المجتمع التجاري الأوروبي . وأدى انتشار المسيحية إلى إغناش المدن ، التي أصبحت بدورها مركزاً للتسويق . وكانت عملية سك العملة في إنجلترا ، من بين أفضل العمليات المماثلة في أوروبا ، واحتوت كنوز « ستون هو Sutton Hoo » الأثرية ، قطعاً يمتد تاريخها إلى ما يعاصر آثار شرق البحر المتوسط .

ولا ريب أننا نخطئ الرأي تماماً عن الأنجلو - ساكسون ، إذا ما اعتقدنا أنهم كانوا برابرة . فالكنيسة تشجع التعليم . ويبدو Bede يشير إلى طفل اسمه إسيسكا Esica التحق بأحد الأديرة ، ليتابع تعليمه وهو لم يتعد الثالثة من عمره ! وقد جمعت مكتبات كبيرة ، ودبجت المخطوطات ، مثل أناجيل لينديسفارن Lindisfarne Gospels ، بالزخارف الجميلة ، وحازت الحضارة النورثمبرية Northumbrian صيتاً جعل شارلمان Charlmagne يبعث إلى ألكوين Alcuin ليعلمه المنطق ، والبلاغة ، والفلك .

وغالباً ماتدلى بأقوالك في العراء . لكنك لاتذهب منفرداً ، إذ يتعين على أحد أقاربك ، أو من ارتبطت بهم لحمايتك ، مرافقتك ، والشهادة في صالحك ، هؤلاء سيكونون شهود نفي بالنسبة لك Borh . فإذا ما اعترفوا بإدانتك ، كان عليهم أن يؤدوا دفع غرامة يتراوح قدرها حسب ديتك ، وإذا ما أقسموا على براءتك ، فإنه يتم التحقق من شهادتهم بالتعذيب Ordeal ، الذي كان اختصاراً جسدانياً لاكتشاف الجرم . وربما اجتازت محاكمة نارية ، كأن تحمل قطعة من الحديد الساخن حتى الاحمرار ، أو أن تمشي حافي القدمين فوق أسلحة محارث متوهجة ، أو أن تستخرج حصاة من رصاص يغلي ، وأنت برى ! إذا ما وقعت . أو قد يكون عليك أن تجتاز « محاكمة مائية » ، وهي تعتمد على مبدأ عجيب ، فحواه أن الماء المبارك يرفض الرجل المذنب ، بأن يجعله يطفو على السطح ، بينما يغوص الأبرياء فيه طبعاً . وعلى المشتبه في أمره ، أن يعقد وثاقه بجبل ، لكن هذه الوسيلة



وجبة طعامهم وفي اليمن واحد من طبقة المحاربين ومعه زوجه

قد تؤدي بالكثيرين إلى خاتمة غير ملائمة في قاع البركة بالقرية ! وما مزاوله تغطيس الساحرات في العصور الوسطى ، إلا امتداد لهذه العادة .

أهل الريفيـ

كان الأنجلو ساكسون شعباً ريفياً ، فالكثرة منهم يعيشون في القرى ، والحقول ، والكفور ، أكثر مما يقطنون المدن التي ورثوها عن الرومان ، فأصاب البلى هذه المدن ، كما أصاب الطرق الفاخرة . لكن الأنجلو ساكسون صنعوا الأعاجيب في الريف . لقد طهروا المساحات الشاسعة المبسوطة داخل الأدغال ، وحرثوها ، تلك الأدغال التي غطت بريطانيا منذ عصور ما قبل التاريخ ، وبذروا فيها القمح ، والشعير ، والشوفان .

جان بارت

وهكذا ، نجد أن جان بارت كانت تلاحقه المغامرات منذ طفولته . ولكن نظرا لأنه كان ينحدر من أسرة من القراصنة أبا عن جد ، فلا غرابة في أن يرث عنهم بعض صفاتهم . وما أن بلغ الثانية عشرة ، حتى التحق بطاقم إحدى السفن ذات الصاريين التابعة لحفر السواحل ، وبدأ على ظهرها تدريبه العملي على أعمال البحرية . ولكنه سرعان ما سئم تلك المهنة الرتيبة الخالية من الأجداد ، فانتقل إلى هولند يوم ٣١ يوليو ١٦٦٦ ، وكانت في ذلك الوقت حليفة لفرنسا ، والتحق بالعمل تحت إمرة أمير البحر الشهير ميشيل رويتر Michel Ruyter . وبعد ذلك بستة أيام ، حصل على « تعميد النار » ، باشتراكه في إحدى المعارك ضد السفن الإنجليزية . ونحن لا نعرف شيئا عن السنوات التي قضاها جان بارت في هولند قبل أن يعود إلى دنكرك ، عندما أعلنت فرنسا الحرب على هولند ، وكان ذلك في يوم ٦ أبريل ١٦٧٢ .

المعارك

وفي ذلك الوقت ، أبحر جان بارت نوتيا عاديا فوق ظهر إحدى السفن الحربية ، ولكنه سرعان ما عين بعد ذلك ، في ١٦ مارس ١٦٧٤ ، قبطانا للسفينة « الملك داقيد » ، وهي غليون (سفينة حربية صغيرة) حمولتها ٣٥ طنا ، مسلحة بمدفعين ، ويتكون طاقمها من ٣٤ رجلا ، ولم يكن قد بلغ الرابعة والعشرين من عمره . وقد تمكن جان بارت ، بتلك السفينة الصغيرة ، من الاستيلاء على إحدى السفن الهولندية المسلحة بثمانية عشر مدفعا ، كما استولى على ست سفن أخرى . وكانت نتيجة ذلك أن عين قبطانا للسفينة « لارويال » حمولة ٦٠ طنا ، المسلحة بثمانية عشر مدفعا ، والتي تحمل طاقما مكونا من ثمانين رجلا . وقد ظلت انتصاراته تتوالى باطراد ، إلى أن استولى على السفينة الهولندية « نيتون » ذات الثلاثين مدفعا ، والتي تغلب عليها بالالتحام يوم ٧ سبتمبر ١٦٧٦ ، بعد أن أصاب قبطانها بجراح خطيرة ، وقتل عشرين من رجالها .

وعندما عقد صلح نيميغ Nimègue في ١٠ أغسطس ١٦٧٨ ، كانت حصيلة السنوات الست التي قضاها جان بارت في الصراع (القرصنة) تشمل ست معارك ، وواحدا وثمانين غنيمة ، من الثلاثمائة وثمانين غنيمة التي حصلت عليها مجموعة القراصنة الدنكركيين . وإزاء هذا السجل الحافل بالانتصارات ، والذي يعد استمرارا لنشأته المليئة بالمغامرات ، تفتحت أمام جان بارت أبواب البحرية الملكية . ففي يوم ٥ يناير ١٦٧٩ ، حصل على رتبة ملازم بحري . وهنا توقفت أعمال القرصنة لفترة من الزمن ، وهي الأعمال التي وصفها فوبان Vauban وصفا دقيقا ، بقوله عنها إنها كانت « حربا طليقة » ، ونزعة تحدوها الرغبة في السيطرة لصالح الملك ، دون ما اعتبار للقواعد التي تحكمها . وبهذه المناسبة ، يجدر بنا أن نذكر أن أعمال القرصنة التي كانت تجرى في عهد الملكية ، تختلف كثيرا عن تلك التي كانت تزاوئ في عهد سوركوف Surcouf أيام الإمبراطورية ، فقد كان القراصنة يتمتعون بتعصيد وتشجيع البحرية الملكية ، ولذلك أمكنهم أن ينزلوا ضربات قاسية بتجارة الأعداء . أما في عهد نابليون ، فكان الأمر بعكس ذلك . كان افتقاره للبحارة قد أدى إلى إطلاق يد القراصنة ، فكانت النتيجة وبالا . وفي أقل من عشر سنوات ، تمكن الإنجليز من أسر ٨٧٢٥ رجلا من القراصنة الفرنسيين ، مقابل ٣٠٠٠ رجل أسره الفرنسيون في نفس الفترة .

القرصان العظيم

ولنعد الآن إلى جان بارت . فعندما اندلعت حرب « عصبة أوجزبرج » League of Augsburg في سبتمبر ١٦٨٨ ، عاد جان بارت إلى أعمال القرصنة ، والتحم بإحدى السفن الإنجليزية ، ولكنه اصطدم بإحدى سفن السطح ، ووقع في الأسر بعد قتال مرير ، ولم يبق للأعداء ضابطا واحدا سليما . وقد اقتيد إلى بليموث Plymouth ، ولكنه تمكن من الهرب ، بالقفز في أحد القوارب الصغيرة ، ثم أخذ يسبح طيلة يوم وليلة إلى أن وصل إلى إركوي Erquy ، مما يدل على مدى ما كان يتمتع به من قوة غير عادية . وقد توجت هذه المغامرة بترقيته إلى رتبة قبطان سفينة في ١٩ يونيو ١٦٨٩ ، وانضم إلى القوات البحرية التي كان يتولى قيادتها الكونت دي تورفيل de Tourville .

وبعد كارثة الهوج Hougue (٢٩ مايو - ٢ يونيو ١٦٩٢) ، التي أسفرت عن تدمير الأسطول الفرنسي ، احتاج الأمر لإعادة بناء البحرية ، ولم تكن الغابات الفرنسية بكافية للإمداد بكل ما يستلزمه ذلك من أخشاب . وهنا قام جان بارت بمهمة البحث في أرجاء بحر البلطيق ، الذي كانت تمخرعابه قافلة ضخمة من السفن ، محملة بالألواح الخشبية ، والصواري ، والحبال . وفي يوم ١٥ نوفمبر ١٦٩٢ ، تمكن من الاستيلاء عليها . ولكن كانت هناك مشكلة أخرى أشد قسوة ، ألا وهي بوادر المجاعة التي أخذت تجتاح فرنسا ، كانت هناك



جان بارت ، قبطان

مما يروى عن جان بارت Jean Bart ، أنه بعد وصوله إلى فرساي Versailles ، وبينما كان يدخن غليونه أمام نافذة مفتوحة ، وبرفقته الفارس (شيفالييه) دي فوربان de Forbin ، الذي كان قد أوصله إلى هناك ، استدعاه لويس الرابع عشر وقال له : « أي جان بارت ، لقد عينتك قائد أسطول » . فأجابه رجل البحر قائلا : « لقد أحسنت صنعا يامولاي » . وبينما أثار هذا الرد ضحكا عاليا بين الحاضرين من جلساء الملك ، التفت إليهم هذا الأخير وقال بلهجة جادة : « إنكم تخطئون أيها السادة . إن هذه الإجابة هي ما يصدر عن رجل يعرف قيمة نفسه ، وينوي أن يقدم أدلة جديدة على ذلك » . وهذه القصة ، رغم طرافتها ، إنما صدرت عن « شلل » البلاط القديم . ولسوء الحظ ، فهي بلا شك غير حقيقية ، إذ أن سان سيمون Saint Simon أو دانجو Dangeau (وهو أكثر دقة ، وبعد المسجل الأمين لحوادث وشائعات البلاط) ، لم يشير إليها أدنى إشارة . ومهما يكن من أمر ، فإن جان بارت علم بنبا تعيينه قائد أسطول وهو في دنكرك Dunkirk .

بداية حياة غير عادية

لنستعرض إذن كيف نشأ هذا البحار العظيم وماذا أنجز . ولد جان بارت يوم ٢١ أكتوبر عام ١٦٥٠ في دنكرك . وشاءت ظروف الحرب أن تكسبه الجنسية الأسبانية ، وهو بعد في الثانية من عمره . وعندما قارب الثامنة ، كان ذلك يوم ١٤ يونيو ١٦٥٨ ، وهو اليوم الذي انتصر فيه مارشال فرنسا تورين Turenne في معركة دون Dunes ، وجد جان بارت نفسه فرنسا عند الظهيرة ، ثم انجليزيا في المساء ، بعد أن تعهد لويس الرابع عشر بإعادة دنكرك لانجلترا (تقديرا منه للمساعدة التي قدمتها له هذه الأخيرة ، بإمداده بخمس وعشرين سفينة من سفنها) . وعندما واجه شارل الثاني أزمة مالية ، اضطر للزول عن المدينة للويس الرابع عشر ، مقابل خمسة ملايين فرنك ، وبذلك عاد جان بارت لفرنسا مرة أخرى يوم ٦ نوفمبر ١٦٦٢ .

القرصان العظيم والملازم في البحرية الملكية

من الروايات التي كانت تحكى في ذلك الوقت عن ذلك البحار العظيم الحشن ، أن الملك قد استدعى جان بارت إلى فرساي ، وهناك أثار بمظهره البرئ فضول رجال البلاط ، وهو فضول يتسم بالسخرية والتعالى ، سرعان ما جعلهم يطلقون عليه لقب « الدب » . لم يكن جان بارت يعرف أحدا من الموجودين ، ولذا ظل بمنأى عنهم ، وعندما التأم شمل رجال البلاط في انتظار وصول الملك ، أخذوا ينظرون إلى بارت ، وفجأة استجمع أحد الحاضرين شجاعته ، وسأل بارت عن الطريقة التي كان يتبعها لاختراق صفوف السفن المعادية . وهنا وجد بارت أن الفرصة قد واثته للانتقام من هؤلاء المتعجرفين الملتفين حوله ، فطلب منهم أن يقفوا في صفين ، ثم أبرز مرفقيه جانبا ، وأخذ يخترق صفوفهم ، وهو يدفعهم بشدة ، مما أدى إلى وقوع بعضهم أرضا . وفي هذه اللحظة ، فتح باب القاعة على مصراعيه وصاح الحاجب : « الملك ، أيها السادة » ، فأخذ الرجال الذين وقعوا ينهضون من سقطتهم ويتدافعون ، غير أن لويس الرابع عشر لاحظ المخرج وسأل عن أسبابه . وعندما أدرك ما حدث ، أخذ يضحك ، ولم يكن يوسع الجميع سوى بمجازاة الملك في ضحكه تملقا ورياء . وإن كان واضحا أن ضحكهم لم يكن صادرا من القلب .

معمون الملكة

بعد أن عاد جان بارت إلى دنكرك ، كلف بمهمة جديدة ، كانت هي الأخرى ضمان إمداد البلاد بالقمح . ففي أكتوبر ١٦٩٤ ، أبحر ميمما شطر فليكر Vleker ، حيث كانت تنتظره السفن التي كلف بحمايتها . وكما هي العادة ، كان الإنجليز يتربصونه في رحلة العودة ، وتم اللقاء بينهما أمام فليسبنج Flessingue . ولكي يتمكن جان بارت من خداع العدو ، قام بتغيير اتجاه القافلة ، موها بأنه يقصد الوصول إلى المضيق الذي يؤدي إلى ميناء هولندي . وقد نجحت الحيلة ، وابتعد الإنجليز ، وهم يعتقدون أن القافلة هولندية . غير أن المسألة لم تنته عند هذا الحد ، فقد كان عليه أن يستدير بسرعة ، ويسير بحذاء الشاطئ ، في خط متعرج ، يمر بين ألسته الرمال ، حتى يصل إلى دنكرك . وقد نجح جان بارت في التغلب على هذه الصعوبات ، وفي ٢ يناير ١٦٩٥ ، ألقي مراسيه في دنكرك ، ومعه أسطول له الصغير كاملا ، والست عشرة سفينة الحملة بالقمح .

نهاية حياة حافلة بالأمجاد

كان رجل البحر العظيم ، يبلغ في ذلك الوقت خمسة وأربعين عاما . وكان صلح ريزويك Ryswick ، الذي وقع في ٢٠ سبتمبر ١٦٩٦ ، إيذانا له ببداية فترة من الهدوء النسبي . وفي عام ١٧٠٢ ، أخذت بوادر الحرب تبدو في الأفق من جديد ، فبدأ جان بارت في الإعداد لأسطول له الجديد ، إلى أن كان اليوم الثالث عشر من أبريل ، عندما أصابته حمى الالتهاب البللوري ، فألزمته الفراش . وفي يوم ٢٧ أبريل ، في الساعة الخامسة مساء ، لفظ جان بارت آخر أنفاسه . وقد رثاه سان سيمون ، وهو المعروف بالقصد في المدح ، فقال : « لقد لحقت بالملك خسارة بفقده جان بارت العظيم ، الذي استطاع ، ولفترة طويلة ، أن يثير الحديث عنه ، وعن أعماله المحيية في البحر ، لدرجة تغنيى عن تعريقه » .

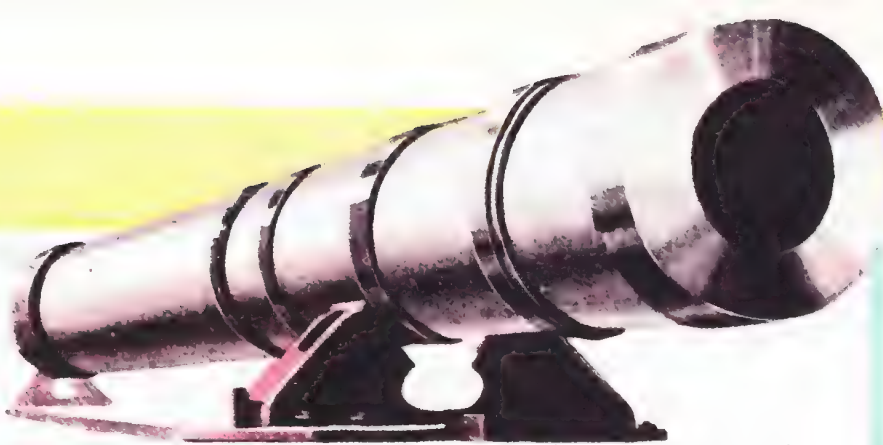
مائة وعشرون سفينة ، أبحرت إلى الترويج لإحضار شحنة من القمح ، وكانت فرنسا على أحر من الجمر في انتظار عودتها سالمة . وفي يونيو ١٦٩٤ ، أسندت إلى جان بارت مهمة مصاحبها ، وإعادتها بأسرع ما يمكن . ولكن بعد بضعة أيام ، تبين له أن القافلة قد أبحرت عائدة دون انتظار وصوله ، وأنه لا يحرسها سوى ثلاث سفن دانيمركية وسويدية ضعيفة التسليح . وبينما كانت في عرض البحر ، هاجمتها ثمان سفن هولندية ، وتمكنت من سحبها إلى جزيرة تيكسيل Texel ، عند مصب الزودرزي Zuyderzee . كانت القوتان غير متعادلتين ، ولكن كان من الحتم ، بالغا ما بلغ ذلك من ثمن ، استعادة السفن الفرنسية . وسرعان ما تم الالتحام وبدأت مجزرة ، أصيب جان بارت خلالها في يده وفخذه ، ولكنه استمر في قتال لم يدم سوى نصف ساعة ، وكان أميرال البحر الهولندي دي أوريوس de Uries قد أصيب بستة جروح ، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة كتب يقول : « إن عزائي هو أنني غلبت على أيدي رجال شجعان » . وقد فقد الهولنديون في تلك المعركة مائة وثمانين رجلا ، في حين قتل ثلاثة من رجال بارت ، وجرح سبعة وعشرون . وفي ٣ يوليو عاد إلى دنكرك ، حيث استقبل استقبال المنتصرين .

وعندما ذاع نأب وصول بارت ، اجتاحت فرنسا نوبة من الحماس بلغت حد الهوس ، فقد زال خطر المجاعة ، وأصبح مكيال القمح يباع بثلاثة فرنكات ، بعد أن كان ثمنه في الليلة السابقة قد وصل إلى عشرة فرنكات . وكانت مكافأة بارت على هذا العمل الباهر ، أن رفعه الملك إلى مصاف النبلاء . ففي نفس العام ، خلع عليه لقب فارس

انتصار جان بارت على الهولنديين عند جزيرة تيكسيل عام ١٦٩٤



النـيكل والكروم



أنبوبة هائلة الحجم تسمى «بأنبوبة القوة»، مصنوعة من الصلب المكون من النيكل والكروم، وتستخدم في صناعة النواشدر، بأحد مصانع المنتجات الكيميائية. وهي تزن ٤٤ طناً

استخداماته

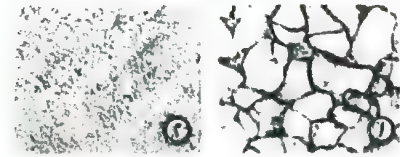
يستخدم النيكل الخالص في صناعة آلات مصانع الألبان، وأجهزة المعامل، وغيرها، وذلك بسبب قوة مقاومته العالية للتآكل. وتستخدم كمية محدودة من هذا المعدن، في «تنكيل» الأدوات المصنوعة من الحديد. وقد أصبحت للنيكل المسحوق قيمة عالية في صناعة المذيبات ومواد الاحتراق، إذ أنه يساعد على بعض التفاعلات. ويدخل الجزء الأكبر من كميات النيكل في إعدادات مختلف السبائك، وفيما يلي أهمها:

النيكل والنحاس: يتحد هذان المعدنان، ليكونا مجموعة من السبائك، تستخدم في مجالات شتى، ومنها المونيل Monel (٦٧٪ نيكل، و٢٨٪ نحاس)، وتستخدم لصناعة أدوات الطهي.

الإنفار Invar (وينتج عن مزج الحديد والنيكل بنسبة ٣٦٪ من النيكل)، وهو لا يتأثر بالتغيرات في درجة الحرارة، أو أن تأثيره بها يكون بدرجة لا تذكر. ولهذا السبب، فهو يدخل في صناعة أجهزة القياس.

البلاتينية: نوع من الصلب، يحتوي على ٤٦٪ منه من النيكل. ويتمدد بنفس النسبة التي يتمدد بها الزجاج والبلاتين. ويستخدم في ربط الشعيرات المستخدمة في مصابيح القوس الكهربى. الصلب غير القابل للصدأ: يحتوي على ١٥,٢٢٪ من الكروم، و٢,٨٪ من النيكل، وهو يقاوم تأثير جميع الأحماض تقريباً.

مزيغ النيكل والكروم: يحتوي على نسب مختلفة من النيكل والكروم، وبعض المعادن الأخرى. وهذا المزيغ ذو مقاومة عالية للحرارة والتآكل، حتى في درجات الحرارة شديدة الارتفاع. ولذا فهو يستخدم في صناعة بعض أجزاء السيارات، والقاطرات، وحتى في المدفعية.

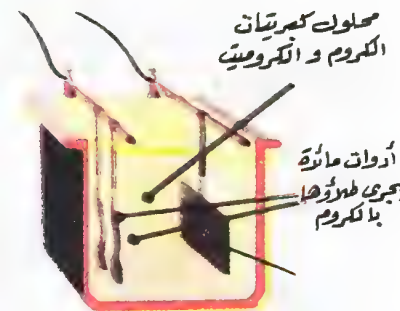


صورة فوتوغرافية مصغرة، تبين تركيب نوعين من الصلب (مكبر ٣٠٠ مرة). والصورة الأولى تبين الصلب العادى، والأسطح الكبيرة الواضحة هي بللورات الحديد النقي. أما الصورة الثانية، فتبين الصلب المصنوع من النيكل والكروم.



قطعة نقد فرنسية فئة ١ فرنك من النيكل الخالص

مصباح راديو



رسم بيانى للجهاز المستخدم في الطلاء بالكروم. وعند مرور التيار، تنتقل ذرات الكروم من اللوح إلى المحلول، وترسب على المادة المطلوب طلاؤها

كثيراً ما نسمع في مجال الصناعة الحديثة، عن أنواع من الصلب الخاص، مقاومة للتآكل، ذات خواص آليّة فائقة، منها مقاومة السحب، أو الصدمات، والصلابة، إلى غير ذلك. وأنواع الصلب الرئيسية التي لها هذه الخواص غير العادية، هي في الغالب الأعم النيكل Nickel والكروم Chrome، وهما المعدنان اللذان يدخلان في تركيب سبائك الصلب العادى.

وهذا الاستخدام يكفى في حد ذاته، لإكساب هذين المعدنين أهمية رئيسية في مجال إشغال المعادن، ولكنهما يستخدمان كذلك في مئات المجالات الصناعية الأخرى، كالصناعات الكيميائية، والكهرية، والآلية، وغيرها.

والآن، فلنستعرض خواص هذين المعدنين الهامين:

النـيكل

اكتشف هذا المعدن في السويد حوالى عام ١٧٥١، على يد الكيميائى أ. ف. كرونشتد A.F. Cronstedt. وفي عام ١٨٨٥، بلغ الإنتاج العالمى منه ٥٥٠ طن. أما اليوم، فإن هذا الإنتاج يصل إلى ما يقرب من ٢٢٠٠٠ طن. وتدل هذه الأرقام دلالة واضحة على أهمية هذا المعدن في الصناعات الحديثة.

هذا وقد كان الإنسان، منذ قرون عديدة، يستخدم النيكل، ولكنه كان يجهل خواصه الكيميائية.

كان أسلافنا القدماء، يصنعون أسلحتهم المعدنية من خليط طبيعى من الحديد والنيكل، ولا سيما تلك التي كانوا يحصلون عليها من النيازك. ومنذ ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، كان الصينيون يستخدمون الإشابات التي توجد في النيازك لصناعة الشمعدانات، والعلب، وأدوات الزينة المختلفة.

وعلاوة على ما تحتوى عليه الطبقات العميقة من القشرة الأرضية من كميات كبيرة من النيكل، فإننا نجده أيضاً على السطح، على شكل خام معدنى مختلط بالسليكا والكبريت. وأغنى مناجم هذه الخامات (الجارنيت، والهيريتين، والنيكولز... إلخ). توجد أساساً في كندا (مقاطعة سودبرى Sudbury)، وتحتوى على ٧٥٪ من إجمالى الإنتاج العالمى، وكذلك في كاليديونيا الجديدة New Caledonia.

خواص النيكل

الرمز الكيميائى	ني
الرقم الذرى	٢٨
الوزن الذرى	٥٨,٦٩
اللون	أبيض فضى لامع
القابلية للسحب والطرق	عالية
الوزن النوعى	٨,٨
درجة الانصهار	١٤٥٥°م

الكروم

مكتشف هذا المعدن هو الكيميائى الفرنسى فوكلان Vauquelin في عام ١٧٩٨، وتمكن من عزله لأول مرة كيميائى فرنسى آخر في عام ١٨٩٤ يدعى موانسان Moissan. ويوجد هذا المعدن بصفة خاصة في خليط الكروميت، الذى توجد أغنى مناجمه في جنوب أفريقيا، وروديسيا، وتركيا، والفلبين. ويبلغ إجمالى إنتاج الكروم ما يزيد على ١,٢٠٠,٠٠٠ طن سنوياً.

ويستخدم الكروم في صناعات المعادن (٥٠٪)، وصناعة المنتجات العاكسة (٣٥٪)، والمنتجات الكيميائية (١٥٪). واستخدامات الكروم ومركباته، تكاد تكون هي نفس استخدامات النيكل. وتصنع أنواع بالغة الصلابة من الصلب المحتوى على الكروم، وتستخدم في ألواح التصفية للغازات. كما يجرى طلاء عدد كبير من الأدوات المختلفة بالكروم لإكسابها لمعاناً، ومقاومة عالية، ضد تأثيرات الهواء والأحماض، ولذلك فإن الأدوات المطلية بالكروم، أخذت تحل ببطء متزايد محل الأدوات المنكدة.

خواص الكروم

الرمز الكيميائى	كر
الرقم الذرى	٢٤
الوزن الذرى	٥٢,٠١
اللون	أبيض فضى يميل قليلاً للزرق
الوزن النوعى	٧,١
درجة الانصهار	١٨٣٠°م

الأكاسيد اللامائية والأحماض

عائلة المركبات الكيميائية

العناصر التي درر ذكرها
في هذا المقال

فلزات	يد
أيدروجين	ص
صوديوم	ص
لأفلزات	ك
كلور	ك
أكسجين	ك
كبريت	ك
كربون	ك

من المحتمل أن تكون قد مرت بك لحظات في فترة الهضم ، شعرت فيها « بحرقان » في المعدة ، وهو الشعور الذي نطلق عليه اسم « الحموضة » . وإليك تفسير ما يحدث : إن العصير المعدى يحتوى ، من بين المواد التي يحتوى عليها ، على « حمض » ، وهو حمض الكلورودريك ، والغرض منه تطهير المواد الغذائية . وعلاوة على ذلك ، فهو يساعد على هضم المواد البروتينية . وإذا حدث أن زادت الكمية المفرزة من هذا الحمض في أجسامنا عن معدلها المعتاد ، فإننا نشعر بذلك « الحرقان » في المعدة .

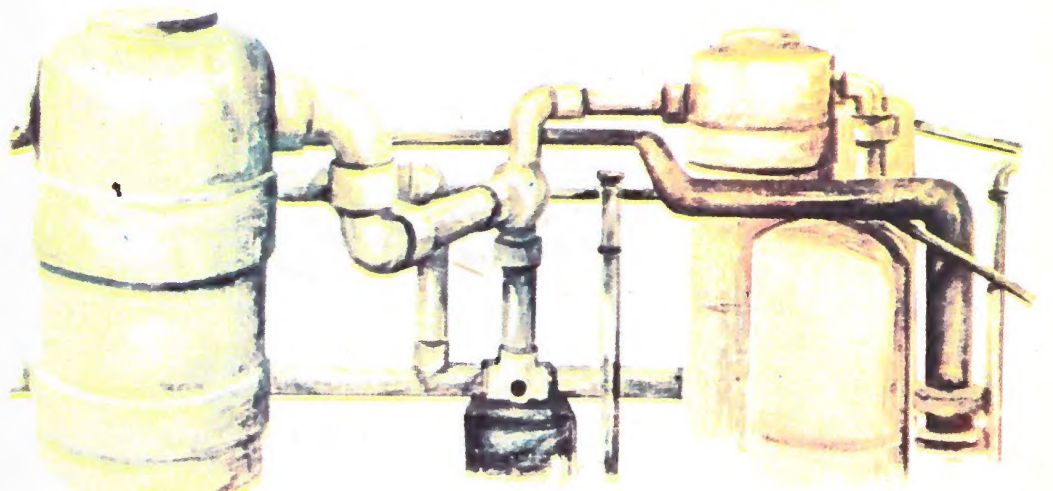
ولهذه الظاهرة علاج غاية في البساطة ، وهو عبارة عن مسحوق أبيض اسمه بيكربونات الصوديوم ، وهو معروف جيدا ، ويوجد في الصيدلية الخاصة في معظم منازلنا . كيف إذن تختفي الحموضة بعد تناول بيكربونات الصوديوم ؟ ليس في الأمر سر ، ولكنه مجرد عملية كيميائية يمكن تفسيرها بالمعادلة الآتية :



فإذا تتبعنا تحركات الكرات الملونة (وهي تمثل ذرات العناصر المختلفة) ، تمثل أماننا لعبة طريقة من التحليل والترتيب . وسنلاحظ أنه يمزج نفس المواد بطرق مختلفة ، نحصل على مركبات جد مختلفة : أحماض ، وأملاح ، وأكاسيد لا مائية ... إلخ .

وفي الحالة التي نحن بصدددها ، نجد أن الحمض (حمض الكلورودريك) ، الذي أصبح ضارا بسبب زيادة الكمية الموجودة منه ، والملح (بيكربونات الصوديوم) ، يمتزجان ، ويكونان ملحاً جديداً (ملح الطعام العادي) ، وماء ، وثاني أكسيد الكربون . وكل هذه مواد لا ضرر منها إطلاقاً ، فالماء والملح يمكن بقاؤهما في المعدة ، والأكسيد اللامائي ، وهو غاز ، يخرج من الفم .

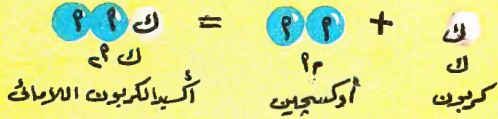
فنحن بتعريض هذا « العمل » الذي تؤديه الكيمياء لصالح عملية الهضم ، نكون قد كررنا استخدام تعبيرات تشير إلى الحمض ، والملح ، والأكسيد اللامائي ، ويمكننا أن نضيف إليها تعبيرات أخرى مثل الأيدروكسيد والأكسيد . فما هو مدلول هذه الكلمات ؟ إنهن مسميات لخمس مجموعات ، تنتمي إليها معظم المركبات غير العضوية . ويمكننا تلخيص ذلك بالقول ، بأن المركب المعدنى ، يكون في الغالب على هيئة أكسيد ، أو أكسيد لامائي ، أو أيدروكسيد (قاعدة) ، أو ملح . وسنبحث هنا في خواص الأكاسيد اللامائية والأحماض .



الجهاز الخاص بتوليد حمض الكبريتيك الدخاني المسمى « أوليوم » ، وهو من أقوى الأحماض المعروفة

الأكاسيد اللامائية

عندما تحترق قطعة من الخشب أو الفحم ، يتحد ماها من كربون مع أوكسجين الهواء . والكربون يعتبر لا فلز ، في حين أن المواد الناتجة عن اتحاد لا فلز بالأوكسجين ، تسمى أكاسيد لا مائية .



وعندما نشعل عودا من النقاب ، فإن مادة الكبريت التي في طرف العود تحترق ، أي أنها تتحد بالأوكسجين . والمادة التي تنتج عن ذلك مادة غازية ، نستطيع أن نشم رائحتها النفاذة الخائفة . والكبريت هو أيضا لا فلز ، والغاز الناتج يسمى بأكسيد الكبريت اللامائي .



الأحماض

إذا أذينا أكسيد الكربون اللامائي في الماء (وهذا الذوبان لا يتم ولا يبقى إلا في إناء تحت ضغط) ، فإن الماء يكتسب طعما حمضيا بعض الشيء ، يشبه طعم الليمون أو الخل . وهذا هو ما يحدث في زجاجات المياه الغازية . إن اتحاد الأكسيد اللامائي والماء ، قد ولد مادة جديدة ، هي الحمض . وفي هذه الحالة ، فإنه حمض الكربونيك :



وبالمثل فإن أكسيد الكبريت اللامائي (كأي أكسيد لا مائي آخر) ، يسمح بالحصول على حمض :



ومن أكسيد الكبريت اللامائي ، كب أم ، يمكن التوصل إلى حمض مركز ، هو حمض الكبريتيك :



كما توجد أيضا بعض الأحماض الخالية من الأوكسجين ، وأهمها هو نفس حمض الكلورودريك ، الذي كان منذ قليل يهدد أداء معدتنا لوظيفتها .

لاسلز + أوكسجين = أكسيد لامائي
أكسيد لامائي + ماء = حمض

Geoffrey Chaucer (مؤلف قصص كاتربري) ،حوالى عام ١٤٠٠ ، ولم يترك سوى اسمه والكتاب الذى ألفه .

قصيدة بيرز الحارس

لقد ظلت رؤيا ولیم عن بيرز الحارث، شغله الشاغل طيلة ثلاثين عاما . وقد ترك بعد وفاته ثلاثة نصوص مختلفة، والمعروف أنه يوجد عنها أكثر من ٤٠ مخطوطا قديما . والرؤيا تتكون من قسمين . القسم الأول خاص ببيرز الحارث، وبطرق الحياة التى عبر عنها بقوله: « اعمل جيدا، وامل أفضل، وامل الأفضل » . وهو يصف فيه العديد من الأحلام ، وهى الطريقة التى اتبعها المؤلف فى التمهيد للرؤيا ، وبين كل من تلك الأحلام والآخىر ، حلقات قصصية تصف لحظة الحالم ، وعودته للنوم مرة ثانية .

والمبحث الأساسى فى القصيدة هو خلاص النفوس . فهو يبدأ بوصف النفوس التى يشعر بأنها فى حاجة للخلاص . والموضوع يتصل بحوادث الحياة اليومية ، حيث يصف معظم الناس بأنهم لا يهتمون إلا بالبحث عن المال ، ولذا إذا الحياة . ثم ينتقل ولیم الشاعر فى الحلم ، إلى رؤيا أخرى ، يصف فيها الناس وقد ارتكبوا الخطايا السبع الكبار ، ثم أخذوا يندمون ويعترفون بذنوبهم ، ويخرجون بحثا عن الحقيقة ، وفى مقدمتهم بيرز الحارث ، مرشدا لهم .

وهذا البحث عن الحقيقة ، أو الإيمان بالله ، يقودنا إلى القسم الثانى من القصيدة . لقد أوضح القسم الأول ، بما قدمه من نماذج مستوحاة من الحياة اليومية فى إنجلترا فى فترة العصور الوسطى ، أوضح حاجة الإنسان للإيمان . كما أوضح كيف أن بيرز الحارث ، بحياته البسيطة المتواضعة ، كفلاح يكاد فى حرث الأرض ، كان يسير على الطريق السوى . أما فى القسم الثانى ، فقد شرع لانجلاند فى تفسير مختلف أشكال الحياة الطبية، التى يمكن للإنسان أن يحياها . من ذلك قوله : « اعمل جيدا » ، وهو بذلك يشير إلى الحياة النشطة الكادحة ، التى كان يحياها بيرز الحارث .

وينتقل لانجلاند من مناقشته لمختلف الأفكار ، فيصف الصلب وسعير الجحيم . وفى إحدى الفقرات الرائعة بالقصيدة ، يروى كيف أن المسيح ، وقد استعار هيئة البشر فى شخص الحارث بيرز ، أخذ يصارع الموت والشيطان . إلى ذلك وصف لإنشاء الكنيسة التى يعهد بها المسيح إلى بيرز الحارث . وهنا تتخذ شخصية بيرز دلالة جديدة ، إذ أنه يجعلها ترمز إلى القديس بطرس .

هذا ، والقصيدة أو المقطوعة النثرية التى تستخدم الأشخاص والأشياء لترمز بهم إلى أشخاص آخرين ، وإلى أشياء أخرى ، تسمى بالقصيدة الرمزية Allegory ، وهو أسلوب شاع كثيرا فى تلك الفترة من تاريخ الأدب الإنجليزى . وقصيدة بيرز الحارث قصيدة معقدة ، ولكنها تتميز بسمو مشاعرها ، وبقوة تعبيراتها .



حارث من القرن الرابع عشر (المتحف البريطاني عام ١٣٤٠ ميلادى) .

وليم لانجلاند

الخاصة ، ولذا فإن الشيء الوحيد الذى نعرفه عنه ، مصدره الكتاب الوحيد الذى ألفه واسمه « رؤيا ولیم عن بيرز الحارث » .

لانجلاند فى لندن

من المحتمل أن لانجلاند لم يبدأ فى كتابة مؤلفه إلا بعد وصوله إلى لندن، حيث أقام هو وزوجته وابنته فى كورنهيل Cornhill . وإذا كان القساوسة لم يكن يسمح لهم بالزواج ، فقد ظل ولیم فى أدنى مراتب الكهنوتية، وهى مرتبة الكتبة ، بالرغم من أنه تلقى تعليما جيدا . ومن المحتمل أنه تلقى تعليمه هذا فى دير بندكتين بالقرب من مالفرن Malvern .

وبعكس ديك هويتنجتن Dick Whittington، فإن أمل لانجلاند فى تحسين معاشه بالقدوم إلى لندن لم يتحقق . ولعل فشله فى ذلك هو الذى أكسبه مرارة . وهو باعترافه كان عنيدا ، تمسا ، شديد الفقر . وعندما كان يكسب بعض المال فى لندن ، لم يكن ذلك إلا عن طريق الإنشاد فى الجنازات – وهو عمل كان يتفق وطبيعته غير العادية – أو بنسخ المستندات القانونية ، ذلك لأنه كان على دراية طيبة بالقانون . وعندما كان يسير فى شوارع لندن ، لم يكن يتبادل التحية إلا مع قليل من الناس ، وحتى أصدقائه كانوا يكتفون « ويل الطويل » Long Will ، ويصفونه بأنه رجل غريب الأطوار ، غير مستكمل لقواه العقلية ، أو أن هذا هو ما كان يقوله هو .

هذا هو كل ما عرف عن ولیم لانجلاند شخصيا . وبعد سنوات عاد إلى الإقليم الغربى ، وقد ورد ذكره فى برستول، ومن المحتمل أنه اعتزل أخيرا فى أكسفوردشاير . ومهما يكن من أمر ، فقد توفى فى نفس الوقت الذى توفى فيه معاصره الكاتب المشهور جيوفرى تشوسر

سافر ولیم لانجلاند William Langland ، مؤلف قصيدة « بيرز الحارث » Piers Plowman . من مالفرن هيلز Malvern Hills إلى لندن ، فى القرن الرابع عشر ، أحد فترات العصور الوسطى فى إنجلترا . كانت تلك الرحلة تعد مخاطرة تتسم بالشجاعة ، فقد كان على المسافر أن يتوقع السطو عليه من قطاع الطرق، وأن يشاهد المشائى منصوبة فى كل مكان ، إرهابا للمارقين على القانون . لم يكن الناس يشعرون بالأمان ، وكانوا يخافون بعضهم بعضا ، وإن كان خوفهم الأكبر من « الموت الأسود » .

وقد أوضح لانجلاند فى قصيدته ، أنه كان يدرك فظائع الطاعون ، ذلك الوباء الذى جاء من الشرق واجتاح أوروبا، فأردى بحياة الكثيرين فى إنجلترا ، ولاسيا خلال عامي ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ . كان عدد الفلاحين الذين نجوا منه قليلا ، لدرجة أن الزراعة كادت تتوقف ، فزادت أسعار الطعام ، وارتفعت الأجور ، وتلت فترة الاستقرار التى شهدتها إنجلترا من قبل ، فترة من الفوضى ، زادت فيها الجرائم ، وخرق القوانين ، وهرب كثيرون إلى الغابات الخضراء ، ليعيشوا خارجين على القانون .

وفى حوالى ذلك الوقت ، يخبرنا لانجلاند فى قصيدته ، بأن الناس بدأوا يتحدثون عن شخص اسمه روبن هود Robin Hood ، كان يعيش فى الغابة ، ويسطو على الأغنياء ليعطى الفقراء والجياع . وفى عام ١٣٨١، وصل التدمير بالعمال ذروته ، فقام كثيرون منهم بمسيرة إلى لندن ، عرفت بثورة الفلاحين .

إن هذا الشاعر الطويل القامة العبوس ، يحدثننا عن الكثير مما كان يجرى فى العصور الوسطى . جاء لانجلاند إلى لندن ، وهو ابن أحد المزارعين ، وقد ارتدى زى القساوسة، وحلق شعر رأسه . ولكنه لم يحدثننا كثيرا عن حياته

كيف تحصل على نسختك

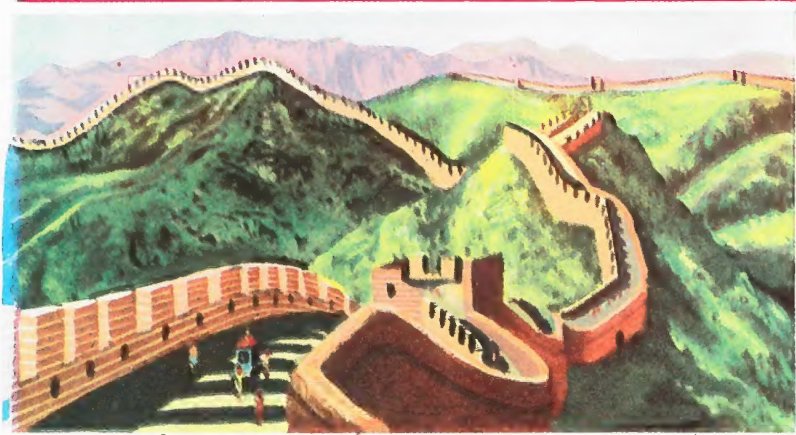
- اطلب نسختك من باعة الصحف والاكتشافات في كل مدن الدول العربية
- إذا لم تتمكن من الحصول على عدد من الأعداد اتصل بـ :
- في ج.م.ع : الاشتراكات - إدارة التوزيع - مبنى مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
- في البلاد العربية : الشركة الشرقية للنشر والتوزيع - بيروت - ص.ب ١٩٨٩
- أرسل حوالة بريدية بمبلغ ١٢٠ مليماً في ج.م.ع وليرة ونصف بالنسبة للدول العربية بما في ذلك مصرية البريد

مطابع الأهرام للنشر والتوزيع

سعر النسخة

٢٠٠ فلس	أبوظبي	١٠٠ فلس	مليبي
٢ ريال	السعودية	١ فلس	لبنان
٥ شللات	عُدن	١٢٥ فلس	سوريا
١٥٠ مليماً	السودان	١٢٥ فلس	الأردن
١٥ فلساً	ليبيا	١٢٥ فلس	العراق
٢ فلسات	بتونس	١٥٠ فلساً	الكويت
٣ دنانير	الجزائر	٢٠٠ فلس	البحرين
٣ دراهم	المغرب	٢٠٠ فلس	قطر
		٢٠٠ فلس	دُبي

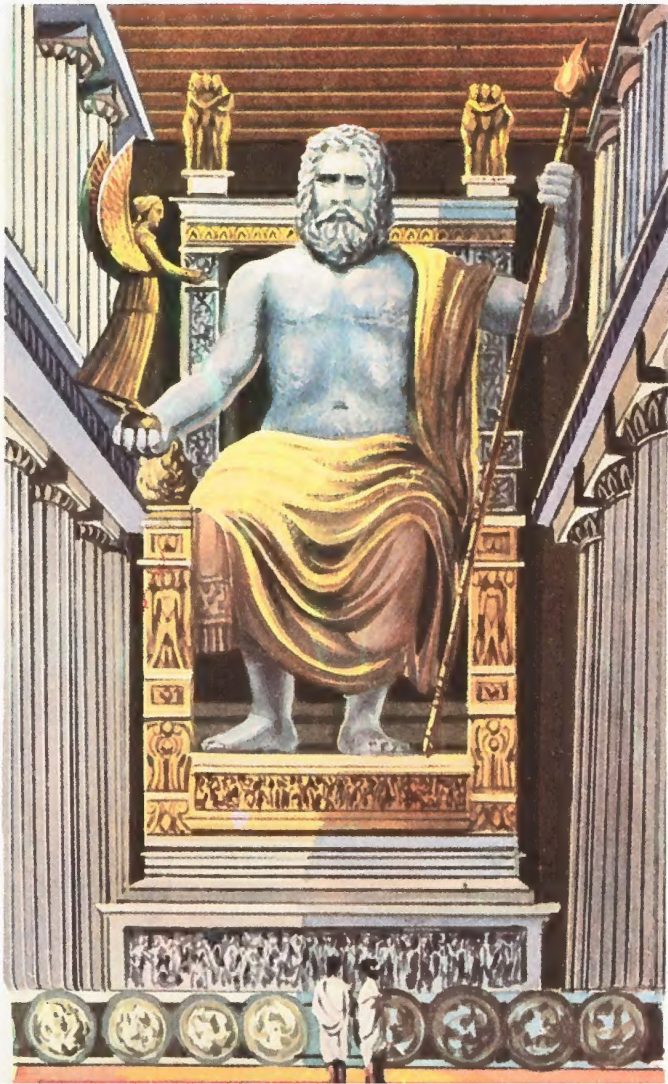
عجائب الدنيا



سور الصين العظيم . وهذا البناء الضخم الذي أقيم في الشرق، يستحق أن يذكر من بين عجائب الدنيا . وهو يمتد على مسافة ٣٠٠٠ كم، وقد أقامه الأباطرة الصينيون، ليغلق الحدود الشمالية للإمبراطورية

تمثال زيوس في جبل أوليمب :

كان هذا التمثال من صنع النحات اليوناني العظيم فيدياس Phidias ، أقامه في الفترة بين عامي ٤٥٣ ، ٤٤٨ ق.م. ، وكان ارتفاعه حوالي ١٢ متراً (أو ١٨ متراً إذا أضفنا إليه ارتفاع قاعدته) . وقد صنع هذا التمثال من الخشب ، وغطى سطحه بالكامل بالمواد الثمينة ، فكان الجسم مكسواً بالعاج ، وفوقه عباءة من الذهب ، أما العينان فكانتا من الأحجار الكريمة . وكان التمثال يغطي دائماً بوشاح قرمزي اللون ، لا يرفع عنه إلا في المناسبات الدينية .

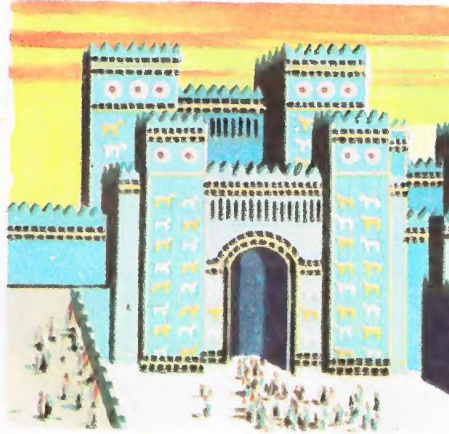


حدائق بابل المعلقة

كانت قصور بابل الشهيرة ، تحمل فوق أسقفها المسطحة ، حدائق رائعة تثير الإعجاب ، بروعتها ، وبأحجامها ، وكانت تزينها التماثيل ، والنافورات . والنباتات الزاهية . وقد أنشئت تلك الحدائق في عام ٦٠٠ ق.م. ، وقدمها نبوخذ نصر (٦٠٥ - ٥٦٢) هدية لزوجته .



حدائق بابل المعلقة ، وهي تقوم فوق تل صناعي



علاوة على ذلك ، كانت بابل تفخر بساحة مسورة يبلغ طولها ٩٣ كم ، وتعزى إلى الملكة الأسطورية سميراميس . وقد بنيت تلك الأسوار بالطوب المطلي باللون الأزرق ، تتخلله زخارف على شكل أسود وتينيات مذهبة بالأحجام الطبيعية .

أسوار بابل ، ويكسوها الطوب الأزرق

مقبرة هاليكرناس



مقبرة موزول ، حاكم هاليكرناس

كان الغرض من إقامة هذا البناء ، يشبه الغرض من إنشاء الأهرام ، أي لاستخدامه مقبرة تضم رفات الملك موزول Mausole ، وهو الاسم الذي أطلق عليه (تستخدم الآن كلمة Mausole في اللغات الأوروبية بمعنى ضريح) . وقد أقيم هذا البناء في هاليكرناس Halicarnasse بآسيا الصغرى عام ٣٥٢ ق.م. ، بناء على رغبة الملكة أرتيميز Artémise ، تمجيداً لزوجها المتوفى . والبناء من تنفيذ المعماري اليوناني بيشيوس Pythios . ولا تعتبر هذه المقبرة أضخم المقابر القديمة ، إذ أن الأهرام تفوقها حجماً بمراحل ، ولكنها ولا شك أجملها .

تمثال زيوس في جبل أوليمب ، وهو عمل رائع من أعمال النحات فيدياس

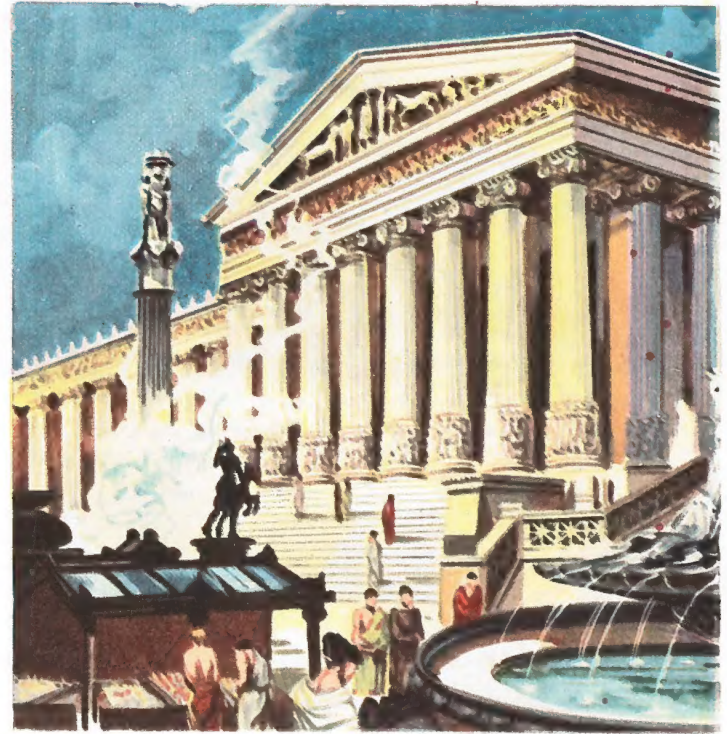
- مصر من الفتح العربى حتى قيام الدولة الفاطمية
- كورسيكا ، مدينة الجمال
- جراس ، عاصمة العصور
- عيش الغراب والفاريتون السام
- الحياة في إنجلترا الأنجلوسكسونية
- جان بارت القرصان العظيم والملازم في بحيرة الملك
- السيكس والكروم
- الأكاسيد اللامائية والأحماض
- وليام لانج لاند

- الدولة الفاطمية في مصر
- موناكو وأندورا ولوكسمبورغ
- المكتبات العامة والمتاحف
- التطويرات في التصوير
- إدوارد الأول
- الثورة الزراعية
- هيلين كوبر
- دنر سكوتس

CONOSCERE
1958 Pour tout le monde Fabbri, Milan
1971 TRADEXIM SA - Genève
autorisation pour l'édition arabe

الناشر: شركة تراكسيم مساهمة سويسرية "جنيف"

عجائب الدنيا



معبد ديانا في إفيزيا ، كانت تؤمه شعوب آسيا الصغرى

معبد ديانا في إفيزيا

نحن الآن أمام البناء الذى يتفوق على كل ما أنشأه الإنسان في العصور القديمة ، وهو معبد ديانا في إفيزيا (تركيا الحالية) ، الذى أقيم في عام ٦٢٠ ق.م. وقد كتب عنه أحد الكتاب يقول : « لقد شاهدت أسوار بابل وحداثتها المعلقة ، كما شاهدت تمثال زيوس في أولمبيا ، وتمثال رودس العملاق ، والأهرام ، ومقبرة موزول ، ولكنى عندما تأملت معبد إفيزيا ، طغى جماله على جمال كل العجائب الأخرى » . ونحن إذ نوافق هذا الكاتب القديم على وصفه ، يجدر بنا أن نتوقف قليلا أمام « أعجوبة الأعاجيب » هذه .

اشتركت في بناء هذا المعبد الرائع ، كافة شعوب آسيا الصغرى التى وفدت عليه ، لتحفظ فيه كنوزها خوفا عليها من السرقة . وقد تهدم المعبد ، ثم أعيد بناؤه ما لا يقل عن خمس مرات . وفي هذا الرسم ، يبدو بالحالة التى كان عليها بعد آخر وأضخم ترميم أجرى له . كان طوله يبلغ ١٣٨ مترا ، ويقوم على ١٢٧ عمودا من الطراز الأيونى ، كلا منها بقطر مترين ، وارتفاع ١٨ مترا . وكان معظم تلك الأعمدة مزخرفا بالنقوش النحتية . أما المعبد ، فكان يضم بعضا من أجمل اللوحات في العصر القديم ، وعددا كبيرا من التماثيل من صنع براكسيثيل Praxitèle ، الذى يعد من أعظم النحاتين اليونانيين . أما الكنوز التى تخص بلادا أجنبية ، فكانت تحفظ في سراديب تحت الأرض .

منارة الإسكندرية :

كانت هذه المنارة هى السبب في إطلاق اسمها على جميع منارات العالم (Phare) نسبة إلى جزيرة فاروس الصغيرة ، التى تقع أمام مدينة الإسكندرية ، وتعد من أشهر الإنشاءات التى أقيمت من هذا النوع في تلك العصور .

كانت أنوارها تنبعث من نيران هائلة توقد فوق قبتها . والمبنى في حد ذاته ذو روعة بالغة . ولما كانت ميناء الإسكندرية من أكثر موانئ البحر المتوسط حركة ، فإن هذه المنارة سرعان ما أصبحت معروفة لدى جميع الملاحين ، وقد أنشئت منارة الإسكندرية في عام ٢٧٩ ق.م . ، ولكنها تهدمت بعد ذلك بقليل ، على أثر هزة أرضية .

عجائب أخرى

قدمت لنا الحضارة القديمة أمثالا أخرى تعد من العجائب . نذكر فيما يلى بعضا منها ، رغم أنها لم ترد ضمن المجموعة التقليدية .

معبد سليمان

بدأت عملية إنشاء المعبد في عهد الملك سليمان عام ٩٦٧ ق.م. ، واستمرت سبع سنوات . وقد تعرض المبنى للتدمير مرتين بعد ذلك ، إلى أن أعاد هيرود بناءه قبل الميلاد ببضع سنوات ، ولكنه لم يعمر طويلا . ففي عام ٧٠ م ، وبعد أن تم العمل فيه بما لا يزيد على ست سنوات ، هدمه الرومان . غير أن تلك السنوات القليلة التى عاشها ، كانت كافية لكي تكسبه شهرة عظيمة ، وذلك لفرط فخامته ، وجمال زخرفته . كان يتكون من مجموعة كبيرة من الساحات ، يقوم في وسطها حرم المعبد . وكانت الأسقف والجدران مغطاة بالأخشاب الثمينة ، مثل خشب الأرز الذى جلب من لبنان . كما كانت تزينة كيات كبيرة من الأحجار الثمينة .

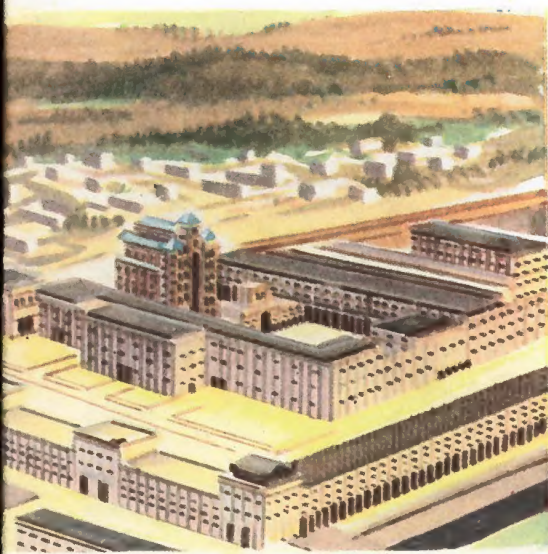
الكوليزيوم

وهو من أكثر الإنشاءات المعجزة في روما كالا ، ومن أجملها في العالم .

ويشهد حجمه وعقوده المتينة ، والتوافق الكامل بين عناصره الزخرفية ، بما بلغت العبقرية والقدرات الرومانية القديمة من ذروة التقدم . كان طول محيطه يبلغ ٥٢٧ مترا ، وارتفاعه خمسين مترا ؛ وكان يتسع لخمسين ألفا من المتفرجين ، الذين كانوا يقصدونه لمشاهدة أكثر العروض إثارة ، كالمصارعة ، ومطاردة الحيوانات المفترسة ، بل وبعض المعارك البحرية .

وقد بنى الكوليزيوم في الفترة من عام ٧٠ إلى عام ٨٠ ، وأمكنه الصمود أمام غزوات البربر المتتالية . وهاك ما كتبه عند أحد الرهبان الإنجليز ، المدعو بيد الميجل ، تعبيراً عن إعجابه بضخامته الهائلة :

« بقدر ما يستطيع الكوليزيوم أن يصمد ، ستعيش روما .
« وإذا انهار الكوليزيوم انهارت روما .
« وإذا انهارت روما انهار العالم » .



معبد سليمان ، كما كان يبدو وقت إنشائه



منارة الإسكندرية ، وقد أنشئت في القرن الثالث ق.م .



الكوليزيوم ، وهو من روائع العبارة الرومانية